علم

الدلالة والمعجم العربي

د. عبدالقادر ابو شريفة
حسين لافي   د. داود غطاشة

طبعة أولى
١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م

دار الفكر للنشر والتوزيع

علم الدلالة والمعجم العربي

د. عبد القادر أبو شريفة

حسين لافي　　　　د. داود غطاشة

١٩٨٩

١ ع ٤

عبد عبدالقادر ابو شريفة

علم الدلالة والمعجم العربي / عبدالقادر أبو شريفة، حسين لافي، داود غطاشة . ـ عمان: دار الفكر ، ١٩٨٩

(١٥٦) ص

ر.ا(٢٤٦/٤/١٩٨٩)

١ ـ اللغة العربية ـ الكلمات ٢ ـ اللغة العربية ـ الاصوات أ ـ حسين لافي، مؤلف مشارك ب ـ داود غطاشة ، مشارك جـ ـ العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

رقم الاجازة المتسلسل: ٢٢٢/٤/١٩٨٩

رقم الايداع لدى

مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ٢٤٦/٤/١٩٨٩

دار الفكر للنشر والتوزيع

هاتف ٦٢١٩٣٨

الادارة العامة ـ شارع الهاشمي

هاتف ٦٥٤٧٦١

المحتويات

المقدمة ٥

القسم الأول ـ علم الدلالة ٧
الوحدة الأولى ـ النظام اللغوي ومنزلة دلالة الالفاظ منه ٩
الوحدة الثانية ـ العلاقة بين اللفظ ودلالته ١٩
الوحدة الثالثة ـ مظاهر تغير الدلالة ٦٣
الوحدة الرابعة ـ تغير دلالات الالفاظ ٧٣
الوحدة الخامسة ـ وسائل تطوير دلالات الالفاظ ٨٥

القسم الثاني ـ المعجم العربي ١١١
الوحدة السادسة ـ مشأة المعجم العربي وتطوره ١١٣
الوحدة السابعة ـ معجمات الالفاظ ١٣١
الوحدة الثامنة ـ معجمات المعاني ١٤٥

قائمة المراجع ١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمــــة

يأتي هذا الكتاب استجابة لرغبة الدارسين لمادة علم الدلالة والمعجم العربي وفق منهاج وزارة التعليم العالي.

وقد حرصنا على تغطية مفردات المنهاج بسعة تزيد من ثقافة الدارس، وتمكنه بالأمثلة والتدريبات - من فهم المادة بسهولة ويسر. وقد جاء الكتاب في قسمين: الأول في علم الدلالة، وفيه خمس وحدات. والثاني، في المعجم العربي وفيه ثلاث وحدات.

ومراجع الكتاب كثيرة ومتنوعة، حديثة وقديمة، من بينها المراجع المقترحة في الخطة - لنقدم للدارس تصورا شاملا للموضوع الواحد، بشكل رائق بعيد عن التعددية والسطحية، وأبقينا مجالا للمتعلم كي يستزيد في الموضوع الواحد، ويطبق الأسس العامة في استعمال المعجم، ويقيس على الأمثلة الواردة في الكتاب دون عناء.

وأخيراً، فاننا نقول دائما إن جهد البشر لا يخلو من عيب أو نقص، فان وفقنا فبفضل الله تعالى، ولنا الأجر، وان اخطأنا فمن انفسنا، ولنا أجر المحاولة. فنسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه وأن يلهمنا الصواب وان ينفع به ويجعل فيه خيرا كثيرا.

القســـم الأول

علـــم الدلالة

الوحدة الأولى: النظام اللغوي ومنزلة دلالة الالفاظ منه.
الوحدة الثانية: العلاقة بين اللفظ ودلالته وعناصر تحديد الدلالة.
الوحدة الثالثة: مظاهر تغير الدلالة.
الوحدة الرابعة: تغير دلالات الألفاظ في اللغة العربية عبر العصور.
الوحدة الخامسة: وسائل تطوير دلالات الألفاظ في العربية وتنميتها.

الوحـدة الأولـى

النظام اللغوي ومنزلة دلالة الألفاظ منه

مقـدمـــة :

حين نتحدث عن علم الدلالة، نتحدث عن جانب هام وحياتي من جوانب اللغة. وربما يتذكر القارىء أمثلة كثيرة على ما تؤديه الكلمات من ارتياح وطمأنينة، أو ما تثيره من شرور وفتن، وبين هذا وذاك يعيش الناس. وقد عبرت الأمثلة العربية القديمة والحكم عما للكلمة من أثر؛ فقد قيل: «رُبَّ كلمة قالت لصاحبها دعني» وحين لم يدعها قتل. . وقيل: «رُبَّ قول انفذ من صول». . والكلمة الطيبة أخمدت حرب داحس والغبراء التي دامت سنوات طويلة وذهب ضحيتها كرام الناس. .

وفي العصر الاسلامي، تبوأت الكلمة مكانة سامية، فعزز الاسلام أثـرها وجعل من ينطق بها في مجال الخير يرتفع الى درجات عليا في الجنة، ومن ينطق بها في شر تهوي به في جهنم سبعين خريفا. من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»، وفي حديث آخر «. . فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفا»[١] والانسان محاسب في الاسلام على ما يقول؛ ان خيرا فخير وان شرا فشر: «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد»[٣]وعن معاذ انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم حين نصحه بكف لسانه فقال: وهل نحن مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟! فقال عليه السلام: ثكلتك امك يا معاذ! وهل يكب الناس على وجوههم الا حصائد ألسنتهم؟![٣].

ويطول بنا المقام كثيرا لـو استعرضنـا المأثـورات في هذا البـاب،[٤] ولكننا

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري جـ ٧. دار احياء لتراث العربي ص ١٢٥ وانظر سنن ابن ماجه جـ ٢، دار الفكر للطباعة ت محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الفتن.

٢ ـ الآية ١٨ من سورة ق.

٣ ـ انظر مسند احمد بن حنبل، جـ ٥ ص ٢٣١ وابن ماجه باب الفتن ١٢، والترمذي باب الايمان ١٨.

٤ ـ انظر الجاحظ في «رسالة كتمان السر وحفظ اللسان» رسائل الجاحظ ت عبد السلام محمد هارون. جـ ١. القاهرة مكتبة الخانجي سنة ١٩٦٤ (ص ـ ١٦٧ ـ ١٧١).

نخلص الى القول بأن اللغة آية من آيات الله ـ سبحانه ـ ومعجزة من معجزاته التي تدل على قدرته سبحانه وتعالى: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم»[٥].

بل لعلنا نجتهد فنقول: إن معجزة الرسول ﷺ كانت كلمة، بينما كانت معجزات الرسل الآخرين اشياء حسية ملموسة. ولعل تطور المعجزات مرتبط بالعقل البشري ونضجه؛ فالانسان في العصور البدائية يؤمن بما يحس ويؤخذ منبهراً بالمعجزات الحسية كالسحر زمن سيدنا موسى عليه السلام، وابراء المرضى واحياء الموتى باذن الله زمن عيسى عليه السلام.. وكل ما قبل ذلك يقع في هذا المدار الحسي ولكنه تطور من سحر الى علم، ثم ارتقى الى الكلمة، وهي غير حسية: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم».[٦]

وتكاد الكلمة تطغى في مجتمعنا الحاضر على كل سلوك انساني، فنمضي معظم اعمارنا في القول وسماعه او قراءته او كتابته.. ويقدر ج. أ تكسون Jean Aitchison معدل نشاط الفرد الكلامي بين قراءة وسماع وحديث بنحو ١٠٠ر٠٠٠ كلمة يوميا،[٧] نعم مائة الف كلمة يوميا!.

لا غرو، اذن، ان ينشط علماء اللغة منذ العصور الأولى لدراسة اللغة.. وقد أكبّ علماء العربية على اللغة العربية يجمعونها ويضعون قواعدها ويصفون اصواتها ونظامها.. ولم يبخل ثنائيو اللغة من العلماء المسلمين بما لديهم من علم في تحليل انظمة العربية منذ نهاية القرن الأول الهجري.. وتوالت المدارس النحوية واللغوية في التميز والظهور بين كوفية وبصرية وبغدادية واندلسية ومصرية.. تلتقي وتختلف.. وتطرح قضايا ما زال علماء اللغة المحدثون يعالجونها بعد مرور الف عام. والحقيقة، إن علماء الغرب اللغويين المطلعين على الجهود العربية في النحو واللغة يقرون بأهمية هذه الجهود وانها «اثر رائع من آثار العقل العربي لما فيها من دقة الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق.. يحق للعرب ان يفخروا به».[٨]

٥ ـ الآية ٢٢ من سورة الروم.

٦ ـ الآية ٤ من سورة ابراهيم.

٧ ـ Jean Aitchison, General Linguistics. Teach Yowrself Books, 1972, P.3.

٨ ـ انظر د. ابراهيم بيومي مدكور. في اللغة والأدب. دار المعارف سنة ١٩٧١ ص ٤١ ـ ٤٢.

إلا ان الدراسات اللغوية الحديثة اكثر دقة وتخصصا لاعتمادها على الأجهزة الحديثة ولاستفادتها من العلوم الأخرى.

وقد كان للبحوث المتواصلة التي قام بها علماء اللغة او المهتمون بها اثر كبير في نمو علم اللغة نموا سريعا. وقد تميزت فيه اتجاهات متعددة لدراسة اللغة، هي: علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics الذي يدْرس اللغة كما هي في الواقع فيصفها دون مدح او ذم، كوصفه الأصوات او التراكيب في لغة ما. وعلم اللغة التاريخي His-torical Linguistics الذي يتتبع تطور لغة ما عبر العصور، او في فترة زمنية معينة، او يقارن بين لغتين مشتركتين في اصول معينة. وعلم اللغة الجغرافي Geolinguistics الذي يهتم بدراسة اللغات الموزعة في مناطق العالم المختلفة، ومدى اهميتها وتفاعلها بعضها مع بعض. وعلم اللغة الاجتماعي Sociolingnistics الذي يتابع التغيرات الاجتماعية اللغوية وتأثرها بعضها ببعض.[٩]

مستويات النظام اللغوي:

وأيا كان المنهج: وصفيا ام تاريخيا، فان علماء اللغة قد حصروا موضوعات علم اللغة بأربعة مستويات او دروس[١٠] هي:

١ - المستوى الصوتي.
٢ - المستوى الصرفي.
٣ - المستوى النحوي.
٤ - المستوى الدلالي.

وبعض علماء اللغة يضيف اليها المستوى المعجمي والمستوى الكتابي والمستوى البياني. وفيما يلي توضيح لكل مستوى وبيان لعلاقته بالآخر بحيث تظهر منزلة علم الدلالة من هذه المستويات.

---

٩ - انظر لمزيد من التفصيل كتاب ماريوباي، اسس علم اللغة، ترجمة د. احمد مختار عمر ص ٣٦ - ٣٧.

١٠ - في كتاب د. عبد القادر ابو شريفة وزملائه: دراسات في اللغة العربية الحق بهذه المستويات ثلاثة مستويات اخرى هي المستوى المعجمي والمستوى الكتابي والمستوى البياني. ويرى معظم علماء اللغة ان هذه المستويات ما تشتمله الأربعة المذكورة. ولا بأس من مراجعتها في الكتاب المذكور ص ٩ - ٣٣.

١ ـ المستوى الصوتي:

ويهتم بدراسة اصوات اللغة من جوانب مختلفة. فان كان يدرسها من دون النظر الى وظائفها، بل يحلل الاصوات الكلامية ويصنفها مهتما بكيفية انتاجها وانتقالها واستقبالها، فان علماء اللغة يطلقون عليه اسم علم الأصوات العام phonetics. وان كان يدرس الاصوات اللغوية من حيث وظيفتها فانهم يطلقون عليه اسم علم الأصوات الوظيفي Phonology. وان كان يهتم بدراسة التغيرات التاريخية في الاصوات فانهم يطلقون عليه اسم علم الاصوات التاريخي Diachronic Phonetics أو Historical Phoneties.

ومما له علاقة بموضوعنا ان يلاحظ الطالب ان الاصوات التي نحدثها هي مجرد اصوات تتكون نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين بمساعدة العضلات البطنية ومروره من بين الوترين الصوتيين في الحنجرة، اللذين يتخذان مع اللسان واللهاة والشفتين اوضاعا معينة حين نطق الاصوات. فان كان الصوت من حروف العلة (ا و ي في راح روح ريح على التوالي) فان الوترين الصوتيين ينفتحان ويخرج الهواء من الفم دون اي اعتراض في اي مكان. اما فيما عدا ذلك فان الصوت يحبس جزئيا او كليا في مكان ما من الفم. واينما يتم حبس الصوت فان هذا الصوت يسمى باسم المكان الذي يحبس فيه. فالهواء في الباء يحبس في الشفتين فيسمى صوت الباء صوتا شفويا والعين حلقيا والهمزة حنجريا[١١]. . الخ.

١١ ـ انظر الجدو التالي:

جدول مخارج الأصوات العربية

(اي اماكن حبس الهواء كليا او جزئيا عند النطق مدة جزء من الثانية)

صفات الأصوات / المخارج (المحابس)	انفجاري او شديد: مجهور: مفخم	انفجاري او شديد: مجهور: مرقق	انفجاري او شديد: مهموس: مفخم	انفجاري او شديد: مهموس: مرقق	رخو: مجهور: مفخم	رخو: مجهور: مرقق	رخو: مهموس: مفخم	رخو: مهموس: مرقق	مركب: مجهور فقط	متوسط: منحرف (جانبي)	متوسط: مكرر	متوسط: انفي	متوسط: لين
شفوي		ب										م	و
شفوي اسناني								ف					
أسناني					ظ	ذ		ث					
أسناني لثوي	ض	د	ط	ت		ز	ص	س					
لثوي (لثة الاسنان)										ل	ر	ن	
غاري (سقف الفم)								ش	ج				ي
طبقي (المنطقة اللينة في آخر سقف الفم)				ك									
(لهوي) نسبة الى اللهاة			ق		غ		خ						
حلقي						ع		ح					
حنجري				ء				هـ					

وهذه الأصوات التي نحدثها لا تكون دون قصد. وان كانت بلا قصد فليس لها معنى. فان قلت ب ب ا فإن هذه الاصوات لا تحمل معنى في النظام اللغوي العربي. اما ان رتبتها حسب لغة معينة فصارت «باب» فانها تعني شيئا معروفا في العربية، وقد تعني شيئا آخر في لغة اخرى. لاحظ انه يمكننا بناء ما لا يحصى من الكلمات من العدد المحدود من الاصوات.[١٢]

وترتيب الأصوات في زمر لفظية يسمى بناء صرفياً وهو المستوى الثاني.

٢ - المستوى الصرفي:

فاذا كان لدينا الاصوات: (ل ع ب) ورتبناها في زُمرة لفظية واحدة فانه ينتج عن ذلك معنى هو اللعب المعروف. وان جعلت ترتيب الأصوات على نحو آخر فانه يتولد لديك معنى آخر مثل بلع او عبل او بعل.. الخ. ولو اخذت لفظة واحدة مثل لعب واضفت اليها وحدة صوتية اخرى مثل (يَـ) في اول اللفظة لزاد المعنى فاصبح للدلالة على اللعب من قبل مذكر في الوقت الحاضر. ولو اضفت وحدة صوتية في وسط اللفظة مثل لاعب لدلت اللفظة على شخص يقوم باللعب. ولو اضفت وحدة صوتية في آخر اللفظة مثل لعبت لدلت على اللعب من قِبَلِ مؤنث في الزمن الماضي. وهذا التغيير في المعنى حصل نتيجة تغير صيغة اللفظة، وهو من اختصاص المستوى الصرفي Morphology. فالمستوى الصرفي يدرس التغيرات التي تطرأ على صيغ الكلمات فتحدث معنى جديداً.

وقد تكون الوحدة الصوتية حركة واحدة كالضمة او الفتحة او الكسرة او التنوين، وقد تكون الوحدة حرفا او اكثر. فاللفظة ضَرَبَ أفادت الضرب من مذكر في الزمن الماضي. ولو غيرنا الفتحة بضمة ثم كسرنا الوسط لأصبحت ضُرِبَ ونتج معنى آخر هو الضرب من مجهول في الزمن الماضي. وكل وحدة صوتية ذات معنى تسمى Morpheme.

يلاحظ مما سبق ان المستوى الصرفي مكون من وحدات صوتية ضمن نظام لغوي معين، وان المستوى الصرفي مرتبط بالمستوى الصوتي. ولكن حين نريد ان نعبر عن افكارنا فاننا لا نلفظ كلمة او صوتا، وانما نسوق الألفاظ في نظام معين،

---

١٢ - يتجاوز عدد الالفاظ العربية عشرة ملايين لفظة.

وهذه الألفاظ حسب النظام اللغوي المستعمل تؤثر في بعضها وتتأثر. ففي العربية نقول مثلا: كتب زيد الرسالة. وساعد الاستاذ الطالب.. الخ. وهذا يعني اننا انتقلنا من مستوى بناء الكلمات الى مستوى التركيب وهو المستوى الثالث.

٣ - المستوى النحوي:

وهو يختص بتنظيم الكلمات في جمل، ودراسة تركيب الجملة. ويسمى بالانجليزية Syntax. ومن المعروف ان علماء العربية قد قسموا الكلام الى اسم وفعل وحرف وبينوا صفات كل واحد منها. ولاحظوا ان حركة الاسماء متغيرة، وما خرج عن ذلك اعتبروه مبنيا، واعتبروا الأفعال مبنية، وما خرج عن ذلك فهو معرب. ولهذا سموا الفعل المضارع بالمضارع لشبهه بالاسم من حيث الاعراب. فاذا وضعنا الكلام في جملة فاننا نقيم علاقات بين هذه الألفاظ لتؤدي معنى مقصودا، فحين نقول شكر موسى عيسى يتوجب ان يكون موسى هو الشاكر، لأنه اصل ترتيب الجملة الفعلية لِأمْن اللبس، تماما كما تقول شكر زيدٌ عمراً. وفي قراءتنا للآية: «انما يخشى الله من عباده العلماءُ»، ساعدت الحركة والمعنى على فهم ان العلماء هم الذين يخشون الله، وليس العكس. وكذلك الحال في قوله تعالى: «ان الله بريء من المشركين ورسولُه»، فالله ورسوله بريئان من المشركين. ولو تفحصنا تركيب الآيتين لرأينا انهما يحملان ايحاء آخر بالاضافة الى المعنى، فالآية الأولى حصرت وخصّت خشية الله في العلماء بمعنى ان العلماء هم اكثر الناس ادراكاً لله وخشية منه. والواو في الآية الثانية لا تعطف الرسول على الله ولا على المشركين، وانما تستأنف البراءة وتؤكدها من جانب الرسول ﷺ. ولو اننا قرأنا لفظ الجلالة بالضم والعلماء بالفتح لانعكس المعنى، وكذلك الحال في جرّ الرسول في الآية الثانية. ولو اننا جعلنا تركيب الآية الأولى على الأصل: يخشى العلماءُ الله لما أدت ذلك المعنى الذي ادته الآية في الحصر والتحديد، والأمر اكثر خطورة في اضافة الرسول الى الله اذا قلنا ان الله ورسوله بريئان من المشركين فذلك جمع بين صنفين مختلفين.. من هذا يتبين ان التركيب والاعراب عمليتان متصلتان، واحداهما توضح الأخرى. وقد قال العرب قديما المعنى فرع الإعراب. فاذا لم نفهم المعنى فمن المحتمل ان لا نحسن الاعراب وتعليل الحركات. فاذا قلت نحن الشبابُ لنا الغد افدت الاخبار عن المتكلمين (نحن) بأنهم شباب

ولهم الغد. وان جعلت الشباب منصوبة جعلت الاخبار عن نحن: جملة لنا الغد، وخصصت الشباب بالخبر. وفي قول الخارجي لأمير المؤمنين. . . . . ومنا أمير المؤمنين شبيب، لَبْس يتضح بالحركة، فان جعل أمير مرفوعة (منا أميرُ المؤمنين) فقد جعل أمير المؤمنين خارجياً وأقَرَّ بإمارته وخلع إمارة غيره، أما إنْ جعلها منصوبة فقد جعل شبيباً من الخوارج ونادى أمير المؤمنين معترفاً بإمارته مع أنه ليس بخارجي.

ولدى قراءتنا للامية العرب للشنفرى نرى خروج جُمَلِهِ على الأصل، وما ذاك الا لاحساسه هو بخروجه عن المجتمع. لاحظ الابيات التالية:

أديم مطال الجوع حتى أميته	وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل
وأستف ترب الأرض كيلا يرى له	عليّ من الطول امرؤ متطوّل
ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشرب	يعاش به، إلّا لديّ، ومأكل(١٣)

ولكنْ لماذا هذا التقديم والتأخير؟ ولماذا الخروج على الأصل؟.

والجواب هو من اختصاص المستوى الرابع.

٤ - المستوى الدلالي:

ان ما يسعى اليه المتكلم او الكاتب هو الافصاح او التعبير عما في نفسه من افكار بوضوح او بتورية، وللموقف اثر في اختياره كيفية التعبير.

ولكن من الضروري ان يعرف المتكلم او الكاتب دلالة اللفظة التي يستخدمها وايحاءها في ذهن المتلقي ليكون تعبيره افصح. واذا اشكل على الانسان شيء فانه يجد حلا لإشكاله في كتب المعاجم، وهي التي تختص بتوضيح دلالة اللفظة.

لنتوقف قليلا عند الفاصلة الأولى من سورة الشرح وهي: «ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك *». ونتساءل هل جاء الاستفهام لسؤال النبي ﷺ عمّا اذا كان الله قد شرح صدره ام لا؟ والجميع سيقول لا. وهذا يعني ان الاستفهام لم يدل على الحقيقة. وانما جاء

١٣ - لامية العرب ص ٣٩.

١٤ - يرى الزمخشري.

ليقرر[١٤] عملية الشرح وتطمين قلب الرسول إثر ما أصابه من هم، وكأنه يقول لقد شرحنا لك صدرك وأزلنا عنك همك. . ونتساءل عن معنى وضع الوزر. فهل كان للرسول ذنب قبل الرسالة؟! نلاحظ ان الوزر لها اكثر من دلالة، ودلالتها تجتمع في الحِمْل العظيم؛ فالذنب حمل عظيم، والحيرة حمل عظيم، والضلال حمل عظيم. . والرسول كان محتاراً في امر الخلق، ضالاً عن الجواب الصحيح حتى جاء الوحي: «ووجدك ضالاً فهدى». ثم نتساءل عن معنى أنقض ومن هو الذي انقض؟ وكثيراً ما يتسرع الطلاب ويقولون في الجواب عن السؤال «من هو الذي انقض» الله هو الذي انقض، ويحس الطالب بالندم لتسرعه في الجواب قبل ان يفهم معنى انقض. والنقض هو الحل فيكون المعنى حلّ ظهرك ونقول في العامية انحلّ ظهره كناية عن الحمل الثقيل، فمن هو الذي يحل الظهر ويشتت القوة؟! انه الوزر في الآية السابقة. . ان ما كنا نتدارسه هو المعنى الناتج من الكلمات والجمل وهو ما يختص بدراسته علم الدلالة والمعجم.

ولو عدنا للسؤال عن: لك وعنك في الآية الأولى والثانية ونظرنا الى الجملة من ناحية التركيب فسوف نجدها قد استوفت اركانها بدون «لك» او «عنك» فما فائدة الجار والمجرور؟ نقول: ان الجملة فعلا قد استوفت اركانها نشرح صدرك فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ولكن «لك» لها اهمية في المعنى كبيرة. فهي تقريب للرسول ﷺ من الخالق وحنان به، كالحنان الذي يسبغُه المربي على طفل يحس بالحسرة والألم فيربّت على كتفه ويمسح على رأسه، وهي بمنزلة التوكيد للمعنى[١٥] واختصاص للشخص. وهذا ما استعمله موسى عليه السلام حين كان ملتجئاً اليه سبحانه وتعالى قبل مقابلته لقوم فرعون: «رب اشرح لي صدري ويسر لي امري»[١٦]. والمؤمن في التجائه لله سبحانه يقول: «ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا. .»[١٧]. وهي بالاضافة الى ذلك جرس موسيقي يحافظ على سلامة الايقاع.

ومما يرتبط بالدلالة والمعنى حسن الأداء والاسلوب، ففي الآية الأولى كناية عن بث الطمأنينة وازالة السوداوية، وفي الآية الثانية مع الرابعة مقابلة «وضعنا عنك

---

١٥ ـ انظر بنت الشاطيء. التفسير البياني.
١٦ ـ الآية ٢٥ من سورة طه.
١٧ ـ الآية ١٩٣ من سورة آل عمران.

وزرك» مع «ورفعنا لك ذكرك» وهما كنايتان ايضا. وفي الآيات جناس، وسجع، وحسن تقسيم. . وعليه تكون الدلالة في ارقى مستوياتها والطفها. ولهذا، فليس من المستغرب تلك الحكايات التي توردها كتب السيرة عن اقسى عتاة العرب الـذين اسلموا حين استمعوا لهذا القرآن، وكابر بعضهم مع اقتناعهم فلم يجدوا سبيلا سوى وصفه بالسحر. اما الجن فقالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي الى الـرشد فـآمنا به. .»[١٨].

أما في مواقفنا الحياتية، فكثيراً ما يعبر المتكلم عن ردود افعاله بطرق مختلفة حسب المعنى الذي يُريد التعبير عنه. فان اراد الشك في صحة الخبر قال: هل هذا معقول؟ وان اراد النفي قال: هذا غير صحيح، او غير صـادق. وان اراد النفي والاتهام، قال: هذا كذب، وان اراد النفي والاتهام لصاحب الخبر (وهي درجة اشد اذ جاء الاتهام للشخص وليس للخبر) فانه يقول كاذب، وان اراد التعبير عن النفي والاتهام والاستنكار قـال: كذاب، فهـذه الجمل ـ وان كـانت من حيث الشكل متشابهة ـ لها دلالات مختلفة، ومواقف مختلفة. فهنـاك فرق بـين الشك، والنفي القاطع، والنفي الانكاري، والنفي الذي يرد التهمة ويلبسها للآخر. ولا يمكن ان تكون هذه المعاني واضحة لدى السامع والقائل بدون معرفة دلالة كذب وكـاذب وكذاب. . وعليه يمكن القياس. . .

منزلة دلالة الألفاظ من النظام اللغوي:

مما مضى تتبين اهمية الوحدات الصوتية في تركيب الصيغ، وان اختلاف هذه الوحدات الصوتية من حيث الترتيب او الزيادة او النقص يحدث تغييرا في المعنى. فهناك فرق بين كتب وكتم او كتب وكبت او كَتَبَ وكُتِبَ او كاتَبَ وكاتِب. . الخ. وهذا يعني وجود علاقة متشابكة بين علم الأصوات وعلم الصرف.

كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو؛ فكلمة سائل قد يكون لها اكثر من دلالة حسب موقعها في الجملة. فان قلت: «سأل سائل» دلت على شخص عادي وان قلت اعطيت السائل دينارا، دلت على مسؤول. وان قلت: «سائل العلياء عنا»

---

١٨ ـ انظر سورة الجن.

دلت على فعل الأمر بمعنى اسأل. وان قلت: «في الكأس حليب سائل» دلت على صفة الحليب بأنه سائل وليس مسحوقا.. فالذي ميز معنى سائل هو السياق او التركيب.

وتقول: «شكر خالد زيدا» فخالد شاكر، وتقول: شكر خالدا زيد فخالد مشكور؛ وخالد في المثالين هو شخص واحد، ولكن المثال الأول جعله شاكرا اذ قام بالشكر، والمثال الثاني جعله مشكورا اذ وقع عليه الشكر. ونتج الاختلاف في صورة خالد الشاكر والمشكور عن الحركة التي جاءت تعبر عن المعنى المراد. وبهذا كله نلاحظ العلاقة بين الصرف والنحو.

ومن جهة اخرى نلاحظ وحدة صوتية مختلفة لحقت بخالد، ففي المثال الأول شكر خالد جاءت الضمتان ـ وهما وحدة صوتية ـ تعبران عن علامة الفاعل، وفي المثال الثاني جاءت خالد منصوبة وعبرت عن النصب علامة الفتح ـ والفتحتان وحدة صوتية.. وبهذا نلاحظ العلاقة بين المستوى النحوي والمستوى الصوتي.

وقد تبينت العلاقة فيما مضى ـ بين معاني المفردات ـ سائل مثلا ـ بسبب النص والتركيب، والصياغة الصرفية والوحدات الصوتية. فكلها تفاعلت حسب نظام اللغة العربية لتؤدي المعنى.

هذه العلائق بين فروع علم اللغة تعد من المسلمات في كل اللغات، وقد مزج بينها علماء اللغة العربية قديما منذ سيبويه،[19] واطلق عليها المحدثون اسم القواعد، وهذه القواعد تهدف لتوضيح المعنى. وفي هذا الشأن يقول د. كمال بشر: «ان كل دراسة تتصل بالكلمة او احد اجزائها تؤدي الى خدمة العبارة والجملة»[20] ويصوغ هذه المقولة بعبارة ثانية د. محمود السعران فيقول: «علم الدلالة او دراسة المعاني هو غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية وقمتها»[21] لأن المستويات الأولى وسيلة والمعنى هو الهدف. والانسان منذ طفولته يتعلم كيف يرصد المعنى وكيف يعبر عنه ولهذا يضعه في بؤرة الشعور.[22]

---

١٩ ـ انظر د. عبده الراجحي، فقه اللغة ص ١٤٤.
٢٠ ـ د. كمال بشر. دراسات في علم اللغة ص ٨٥.
٢١ ـ د. محمود السعران. علم اللغة ص ٢٦١.)
٢٢ ـ انظر د. ابراهيم انيس. دلالة الألفاظ ص ٤٩.

الوحدة الثانية

العلاقة بين اللفظ ودلالته

من المعروف أن اللغة نظام من الرموز الصوتية، او كما عرفها ابن جني، هي اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم.[1] ولكن غير المعروف هو علاقة هذه الرموز الصوتية بالمدلول أو المعنى. فهل هناك علاقة بين اللفظ «كتاب» ومدلوله الذي في اذهاننا؟ وهل هناك صلة بين الصوت: «طالب» وما يدل عليه؟. لتوضيح العلاقة بين اللفظ ومدلوله نستعرض فيما يلي آراء اليونانيين والعرب، ثم ننتقل إلى العصر الحديث لنرى رأي علماء الغرب والعرب في هذه المسألة.

أ - رأي اليونانيين:

حاول فلاسفة اليونان التصدي لهذا الموضوع، لما للكلمة من سحر واضح في سلوك الناس، فقال السفسطائيون في القرن الخامس قبل الميلاد وافلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد بوجود صلة طبيعية بين اللفظ ومدلوله. وإن لم يستطيعوا اثبات هذه الصلة في بعض الألفاظ لجأوا إلى افتراض «أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة او نجد لها تعليلا او تفسيرا.[2]

إلا أن الصلة الطبيعية لم تكن الرأي العام لفلاسفة اليونان، فهذا ديمقريطس من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد يرفض هذا الرأي ويبرهن على ان العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبة وباتفاق الناس الذين يستعملونها.[3] وهذا ارسطو ايضا يرفض فكرة استاذه افلاطون ويرى ان الصلة لا تعدو ان تكون اصطلاحية عُرفية تواضع الناس عليها.[4].

أما سقراط فيمسك العصا من وسطها؛ فهو يرى ان بعض الألفاظ له صلة طبيعية بالمعنى، وبعضها الأخر ليس له صلة طبيعية، وانما اصطلح الناس على

---

١ - الخصائص ١/٣٣.
٢ - د. ابراهيم انيس . دلالة الألفاظ ص ٦٢ - ٦٣.
٣ - انظر د. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٠٥ .
٤ - ابن جني / الخصائص ٢/١٥٢.

الألفاظ لتدل على المعاني التي يريدون، وترسخت هذه الألفاظ ومعانيها في الاذهان عن طريق التكرار.

ب- رأي علماء اللغة العرب الأقدمين:

مال اكثر اللغويين العرب الى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، لما رأوا في اللغة العربية من ميزات قلما تجتمع في غيرها من اللغات. فدفعهم الاعتزاز الشديد بها الى تلمس معاني للأصوات المجردة وتأويل معانٍ الاصوات ان عجزت قواعدهم عن تفسير معاني بعض الالفاظ.

نجد اشارات الى الصلة بين اللفظ ومدلوله في القرن الثاني الهجري منسوبة الى الخليل بن احمد حيث جاء في كتاب الخصائص من باب «إمساس الألفاظ اشباه المعاني» قوله: «اعلم ان هذا موضع شريف لطيف. وقد نبه اليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم (العرب) توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صَرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر».[٤] ويعني هذا انه التفت الى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه صرّ، وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في لكيفية جاء الفعل الذي يصف صوت البازي مضعفا: صرصر.

ويضيف ابن جني ما قاله سيبويه في هذا الباب فيقول: «وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: انها تأتي للاضطراب والحركة؛ نحو النَقَزان، والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال».[٥] وهذا يعني انه يقول بوجود صلة بين اللفظ ومعناه. فالمصادر التي على وزن فَعَلان في رأيه تدل على الحركة المصاحبة للحدث.

وفي القرن الثالث الهجري فسرّ المعتزلة الظواهر اللغوية تفسيراً عقلياً ووجد عبّاد بن سليمان الصيمري من المعتزلة صلة طبيعية بين اللفظ ومعناه، واحتج بان واضع الألفاظ ازاء المعاني لم يضعها اعتباطاً، وانما اختار لكل لفظ معناه الذي توحي به أصواته.[٦]

---

٥ - الخصائص ١٥٢/٢.

٦ - د. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢١٨.

وفي القرن الرابع الهجري، بنى ابن دريد في كتابه «الاشتقاق» تفسيراته على العلاقة بين اللفظ ومدلوله، ففسر تسمية العرب لابنائهم تفسيراً يعتمد على هذه العلاقة الطبيعية، يقول: «واعلم ان للعرب مذاهب في تسمية ابنائها فمنها ما سموه تفاؤلا على اعدائهم نحو: غالب وظالم.. ومنها ما يسمى بالسباع ترهيباً لاعدائهم نحو اسد وليث وذئب.. ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض.. مثل حجر وصخر»(٧) وما زلنا نقول في امثالنا: لكل اسم من مسماه نصيب.

لكن ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري بلور مفهوم الصلة بين اللفظ ومدلوله ووضحه في اربعة ابواب من كتابه الخصائص هي: تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني.(٨) والاشتقاق الأكبر،(٩) وتعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني(١٠) وإمساس الألفاظ أشباه المعاني.(١١).

فهو في اول هذه الأبواب يعلل الصيغ المختلفة التي ترتمي الى موضع واحد ويجد لها علاقة مشتركة. يقول: ومن ذلك قولهم للدم: الجَدِيَّة، والبَصِيرة. فالدم من الدُمْية لفظا ومعنى. وذلك ان الدُمْية إنما هي للعين والبصر، وإذا شوهدت فكأن ما هي صورته مشاهَدٌ بها، وغير غائب مع حضورها، فهي تَصِف حال ما بعد عنك. وهذا هو الغرض في هذه الصُوَر المرسومة للمشاهدة. وتلك عندهم حال الدم؛ ألا ترى ان الرَمِيَّة إذا غابت عن الرامي استدلّ عليها بدمها فاتبعه حتى يؤدّية إليها. ويؤكّد ذلك لك قولهم فيه (البصيرة) وذلك أنها إذا أُبصِرت أدَّت الى المرمِيّ الجريح. ولذلك أيضا قالوا له (الجديَّة) لأنه يُجدِي على الطالب للرميَّة ما يبغيه منها. ولو لم يُرَ الدم لم يستدلل عليها، ولا عرِف موضعها؛ قال صلى الله عليه وسلم «كُلْ ما أصميت ودع ما أنميت».(١٢)

أما في باب الاشتقاق الأكبر فهو يشير الى أن أصوات المادة الواحدة مهما كان

---

٧ - ابن دريد، الاشتقاق، ت عبد السلام هارون. ط الرسالة، مصر سنة ١٩٥٨ ص ٤ - ٥.
٨ - الخصائص جـ٢ ص ١١٣ - ١٣٣.
٩ - المصدر السابق ص ١٣٣ - ١٣٩.
١٠ - المصدر السابق ص ١٤٥ - ١٥٢.
١١ - المصدر السابق ص ١٥٢ - ١٦٨.
١٢ - المصدر السابق ص ١٣٢ ومعنى الحديث: كل ما قتلت من الصيد واترك ما اصبته اصابة غير قاتلة ثم غاب عن نظرك ومات بعد.

ترتيبها فهي ترتد الى معنى واحد، وكأنه بهذا يربط بين الألفاظ وما يصاغ منها وبين معانيها، ولو احتاج الأمر الى التأويل. يقول في مادة (ق س و):

ومن ذلك تراكيب (ق س و) (و ق س) (و س ق) (س و ق) وأهمل (س ق و) وجميعُ ذلك إلى القوة والاجتماع. منها (القسوة) وهي شِدّة القلب واجتماعه؛ الا ترى الى قوله:

يــا ليت شِعْـري ـ والمُنَى لا تنفــع ـ   هــل أغـدُوَنْ يــوما وأمــرِي مُجْمع

أي قويّ مجتمع، ومنها (القوس) لشدتها، واجتماع طَرَفيها. ومنها (الوَقْس) لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلْد ويُقْحِله، ومنها (الوَسْق) للحمل؛ وذلك لاجتماعه وشدّته، ومنه استوسق الأمر أي اجتمع (والليل وما وَسَقَ) أي جَمَع، ومنها (السَـوق)، وذلك لأنـه استحثاث وجَمْـع للمسوق بعضِـه الى بعض؛ وعليه قـال (العجاج):

* مستوسِقاتٍ لو يجِدن سائقا *

فهذا كقولك: مجتمعاتٍ لو يجِدن جامعا.

فإن شَذَّ شيء من شُعَب هذه الأصول عن عَقْده ظاهرا رُدَّ بالتأويل إليه، وعُطِف بالملاطفة عليه. (١٣)

ولكنه يستدرك بأن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لا تطّرد في كل الألفاظ وتحتاج الى احاطة تامة وتلمس ذكي. (١٤)

وفي باب تعاقب الألفـاظ لتعاقب المعـاني يوضـح أن تقارب «الحـروف» او الأصوات والألفاظ ناتج عن تقارب المعاني. فالهزّ والأزّ متقاربا المعنى، وهما أيضاً متقاربا اللفظ، يقول:

«من ذلك قول الله سبحانه: «ألم تر أنّا ارسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزُّهم أزّا» أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزُّهم هَزّا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارَب

---

١٣ ـ الخصائص ٢/١٣٦ ـ ١٣٧.
١٤ ـ السابق ص ١٣٨.

اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خَصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها اقوى من الهاء، وهذا المعنى اعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنك قد تهزّ ما لا بال له؛ كالجِذْع وساقِ الشجرة، ونحو ذلك.

«ومنه العَسْف والأسَف؛ والعين أخت الهمزة كما أن الأسف يعسِف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين؛ كما أن اسَف النفس أغلظ من التردّد بالعسْف. فقد ترى تصاقُب اللفظين لتصاقب المعنيين».

ومثله تركيب (ع ل م) في العلامة والعَلَم. وقالوا مع ذلك: بَيْضة عَرْماء، وقطِيع أعرم، إذا كان فيهما سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه، فكان كل واحد منهما عَلَما لصاحبه. وهو من (ع ر م) قال أبو وَجْزة السعديّ:

ما زِلن يَنْسُبن وَهْنا كلَّ صادِقةٍ	باتت تباشِر عُرْما غير أزواجِ
حتى سَلَكن الشَوَى مِنهن في مَسَكٍ	مِن نَسْل جَوّابةِ الآفاقِ مِهداج[١٥]

ومنه العَلْب: الأثر، والعَلْم: الشقّ في الشَفَة العليا. فذاك من (ع ل ب) وهذا من (ع ل م) والباء أخت الميم.

واستعملوا تركيب (ج ب ل) و (ج ب ن) و (ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد، وهو الالتئام والتماسك. منه الجَبَل لشدّته وقوّته، وجَبُن إذا استمسك وتوقّف وتجمع، ومنه جَبَرت العَظْم ونحوه أي قوّيته.»[٣٨]

مما سبق ترى ان كل كلمة اشتركت مع اخرى بحرفين وتقارب مخرج الحرف الثالث فيهما أدى ذلك المتشابه الصوتي الى تشابه المعنى. بل يذهب ابن جني الى ابعد

---

١٥ ـ الخصائص ٢/١٤٦ ـ ١٤٩.
هذا البيت في اللسان، والحيوان ٥ أ ٥٧٣، والبيتان في حمير الوحش، وقد وردن الماء ليلا فأثرن القطا حتى وردنه وأدخلن أرجلهن فيه. وقوله «وهْناً» أي حين أدبر الليل. ويريد بالصادقة القطاة لأن القطاة تصيح: قطا قطا؛ وهو اسمها فنسب إليها الصدق وقيل: أصدق من قطاة. وقد وصفها بأن بيضها عرم غير أزواج، أفراد وكذلك بيض القطا. والشوى من الدابة اليدان والرجلان. والمسك ما يكون في رجل الدابة كالخلخال. وأراد بجوابه الآفاق المهداج: الريح الحنون. أراد أن الأتن أدخلن قوائمهن في الماء فصار الماء لأرجلهن وأيديهن كالمسك، ووصف أن هذا الماء ماء مطر ساقته الريح. وانظر اللسان في هدج ومسك، والبيت الأول في الحيوان.

من ذلك فيرى ان تشابه اصوات الألفاظ وتقاربها في المخرج يؤدي الى تشابه في معانيها، يقول: «وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين؛ نحو قولهم: السَّحِيل، والصهِيل، قال (زهير):

كأن سحِيلَه في كل فجرٍ ... على أحساءِ يَمْؤودٍ دعاءُ[١٦]

وذلك من (س ح ل) وهذا من (ص هـ ل) والصاد أخت السين كما ان الهاء اخت الحاء. ونحو منه قولهم (سحل) في الصوت و (زحر) والسين أخت الزاي؛ كما أن اللام أخت الراء.

وقالوا (جَلف وجَرَم) فهذا للقَشْر، وهذا للقَطْع، **وهما متقاربان معنى، متقاربان لفظا**؛ لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا من (ج ر م). [١٧]

ويرصد في الباب نفسه أمثلة من أقوال العرب على تشابه أصوات اللفظة الواحدة مع الأخرى دون اشتراك في الحروف او الأصوات ويدلل على تشابه معانيها مثل عصر و أزل، أزم وشد، سلف وصرف.. يقول:

«نعم، وتجاوزوا ذلك الى ان ضارعوا بالأصول الثلاثة: الفاء والعين واللام. فقالوا: عصر الشيء، وقالوا: أزَله، إذا حبسه، والعَصْر ضرب من الحبس. وذاك من (ع ص ر) وهذا من (أزل) والعين اخت الهمزة، والصاد اخت الزاي، والراء أخت اللام. وقالوا: الأزْم: المنع، والعَصْب: الشدّ؛ فالمعنيان متقاربان، والهمزة اخت العين، والزاي اخت الصاد، والميم اخت الباء. وذاك من (أزم) وهذا من (ع ص ب).

وقالوا: السلب والصرف، وإذا سُلِب الشيء فقد صُرِف عن وجهه. فذاك من (س ل ب) وهذا من (ص ر ف) والسين أخت الصاد، واللام أخت الراء، والباء أخت الفاء.

وقالوا: الغَدْر؛ كما قالوا الخَتْل، والمعنيان متقاربان، واللفظان متراسِلان؛

---

١٦ ـ هذا في الحديث عن الحمار الوحشي: وسحيله صوته. ويمؤود: واد في ارض غطفان. والاحساء: الرمال يكون فيها الماء. وانظر الديوان بشرح ثعلب طبعة الدار. ٧.

١٧ ـ الخصائص ٢/١٤٩.

فذاك من (غ د ر) وهذا من (خ ت ل) فالغين أخت الخاء، والدال أخت التاء، والراء أخت اللام.

وقالوا: زأر؛ كما قالوا: سَعَل؛ لتقارب اللفظ والمعنى.
وقالوا: عَدَن بالمكان؛ كما قالوا تأطّر، أي أقام وتلبَّث.

وقالوا: صهل؛ كما قالوا: زأر، وقالوا: الهِتْر؛ كما قالوا: الاذْل، وكلاهما العَجَب. وقالوا: كلِف به؛ كما قالوا: تقرَّب منه، وقالوا: تجعَّد؛ كما قالوا: شَحَط؛ وذلك ان الشيء إذا تجعدَّ وتقبَّض عن غيره شَحَط وبعد عنه.. فذاك من تركيب (ج ع د) وهذا من تركيب (ش ح ط) فالجيم أخت الشين، والعين أخت الحاء، والدال أخت الطاء. وقالوا: السيف والصوب، وذلك أن السيف يوصَف بأنه يَرْسُب في الضريبة لحدته ومضَائه، ولذلك قالوا: سيف رَسُوب، وهذا هو معنى صاب يَصُوب إذا انحدر. فذاك من (س ي ف) وهذا من (ص و ب) فالسين أخت الصاد، والياء أخت الواو، والفاء أخت الباء. وقالوا: جاع يجوع، وشاء يشاء، والجائع مريد للطعام لا محالة، ولهذا يقول المدعوّ إلى الطعام إذا لم يجب: لا أريد، ولست أشتهي، ونحو ذلك، والارادة هي المشيئة. فذاك من (ج و ع) وهذا من (ش ي أ) والجيم أخت الشين، والواو أخت الياء، والعين أخت الهمزة.[١٨]

ويختم هذا الباب بالاشارة الى وجود هذا التشابه في اكثر الكلام، وينبه الى دراسته ورصد لطائفه. ويمهد الى الباب الذي يليه، ويصفه بأنه اغْرب منه. ولعل الغرابة ناتجة عن توسعه في تطبيق القاعدة الى ابعد مستوى فهو في «باب امساس الألفاظ اشباه المعاني» يركز على تقارب المعاني نتيجة لتقارب جرس الأصوات (الحروف)، ويفرق في المعاني نتيجة لاختلاف الجرس، وهو كذلك يوسع ملاحظة الخليل في الفرق بين صوت الجندب (صر) وصوت البازي صرصر، وملاحظة سيبويه في صيغة فعلان التي تدل على الحركة؛ يقول: «ووجدت انا من هذا الحديث اشياء كثيرة على سمت ما حدّاه (مثال ما قالاه). وذلك انك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير؛ نحو الزعزعة والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة.. ووجدت

---

١٨ ـ الخصائص ٢/١٤٩ ـ ١٥١.
١٩ ـ السابق ٢ك١٥٣.

ايضا الفَعَلَى في المصـادر والصفات انمـا تأتي للسـرعة؛ نحـو البَشَكَى والجمَزَى، والوَلَقى . . فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ـ اعني باب القلقلة ـ والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها». [19]

فهو يرى ان العرب كررت الأصوات او المقاطع (زعزع) للدلالة على ان المعنى تكرر، وان العرب ـ ايضا ـ جعلت الحركة المتوالية في المصادر والصفات (في مثل البَشَكى : العدو السريع)، للدلالة على السرعة والحركة.

ويوضح اثر الوحدات الصوتية على المعاني بأمثلة: منها الشَّدَّةُ وما تحدثه من معنى القوة. يقول:

ومن ذلك انهم جعلوا تكرير العين في المثال[20] دليلا على تكريـر الفعل، فقالوا: كسَّر، وقطَّع، وفتَّح، وغلّق. وذلك انهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعـاني فأقوى اللفظ ينبغي ان يقابل به قوّة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما؛ فصارا كأنهما سِيَاج لها، ومبذولان للعوارض دونها. ولذلك تجد الاعلال بالحذف فيهما دونها. فأمّا حذف الفاء ففي المصادر من بـاب وعد؛ نحو العِدة، والزِنة، والطِدة،[21] والتِدَة، والهبَة، والإبة. وأما اللام فنحو اليد، والدم، والفم، والأب، والأخ، والسنة، والمائة، والفئة. وقلّما تجد الحذف في العين. [22]

فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقوالها، وجعلوه دليلا على قوّة المعنى المحدَّث به، وهو تكرير الفعل؛ كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعّفوا الفاء ولا اللام لكراهيـة التضعيف في أول الكلمة، والاشفاق على الحرف المضعّف أن يجيء في آخِرها، وهو مكـان الحذف ومـوضع الاعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الـدالّ على قـوة الفعل. فهـذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعاني. [23]

---

٢٠ ـ المثال: يقصد البناء.

٢١ ـ الطدة: من وطد، يقال وطد الشيء ووصد: ثبت.

٢٢ ـ في مثل مذ واصلها منذ.

٢٣ ـ يقال بعير عركرك: قوي غليظ.

ومن المعروف ان الشدة وحدة صوتية، وحسب قواعد اللغويين لا بد ان يكون لها معنى جديد (وهو القوة والمبالغة)[٢٤] على المعنى الاصلي، ويوضح اثر الوحدات الصوتية في زيادة المعنى من خلال امثلة اخرى مقارنة وينبه الى ان وجودها في العربية كثير، يقول: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث فباب عظيم واسع . . وذلك انهم كثيراً ما يجعلون اصوات الحروف على سمت (مستوى) الأحداث المعبر بها عنها، فيعدّلونها بها (يعدّلون الأصوات او الحروف حسب المعنى) ويحتذونها عليها . . من ذلك قولهم خَضِم وقضم. فالخضم لأكل الرَّطْب؛ كالبِطيخ والقِثاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطْب. والقَضْم للصُلْب اليابس؛ نحو قِضمتِ الدابَّة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر «قد يُدْرَك الخَضْم بالقَضْم» أي قد يُدْرَك الرخاءُ بالشدّة، واللين بالشَظَف. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَّطْب، والقافَ لصلابتها لليابس، حذواً لمسموع الاصوات على مسموع الأحداث ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه: «فيهما عينانِ نضّاختان» فجعلوا الحاء ـ لرقّتها ـ للماء الضعيف، والخَاءَ ـ لِغلَظها ـ لما هو أقوى منه.

ومن ذلك القَدُّ طُولا، والقَطُّ عَرْضا. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعا له من الدال. فجعلوا الطاء المناجِزة لقطع العَرْض؛ لقربه وسرعته، والدالَ المماطِلة لِما طال من الأثرَ، وهو قطعه طولا».[٢٦] فالصوت الرخو له علاقة بالمعنى الرخو، والصوت الغليظ الصلب له دلالة على المعنى الصلب.

ولم يتوقف عند هذا الحد، بل قاده النظر الى وضع معانٍ للأصوات المجردة فالشين عنده تدل على التفشي، والباء تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها[٢٧] تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب إذا غارت في الأرض والثاء للنفث[٢٨] . . الخ. ويضرب امثلة على تكوين المعاني في الكلمات مدللا ما للصوت من توجيه للدلالة، يقول: ومن ذلك أيضا جرّ الشيء يجره؛ قدّموا الجيم لأنها حرف

---

٢٤ ـ ابن جني الخصائص ٢/١٥٧.
٢٥ ـ الخصائص ٢/١٦٣.

٢٦ ـ الخصائص ٢/٥٧ ـ ١٥٨ وانظر تحليله لـ: قرت ـ قرد ـ قرط، والوسيلة الوصيلة، والخذا ـ الخذأ، وجفا ـ جفأ، وصعد ـ سعد، وسد ـ صد. والقسم ـ القصم وقطر ـ قدر ـ قتر (من ص ١٥٨ ـ ١٦٢).

شديد، وأوّل الجرّ بمشقّةٍ على الجارّ والمجرور جميعا، ثم عقبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرّروها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جُرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزّ عليها، واضطرب صاعدا عنها، ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقَلَق. فكانت الراء ـ لما فيها من التكرير، ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جرّ) و (جررت) ـ أوفقَ لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها.

ويقرر ابن جني ان لكل حرف معنى، واذا لم يظهر ذلك من خلال اللغة المنطوقة فيرجع ذلك الى أحد أمرين: إما أن يكون الدارس لم ينعم النظر في الدراسة، أو لأن لهذه اللغة اصولا واوائل قد تخفى على الدارس، ثم يأتي بمثال أخير في هذا الباب يجعل فيه مجموعة من الأصوات وهي الدال، والتاء، والطاء والراء، واللام والنون تدل على الضعف والوهن اذا ارتبطت بالفاء، ثم يعدد الفاظا ويوضح وجهة الضعف فيها مثل: الدالف للشيخ الضعيف، والنَطَف: العيب وهو الى الضعف، والدنِف: المريض.. والفَرْد لأن المنفرد الى الضعف والهلاك.. ومنه الفرات لأنه الماء العذب، واذا عذب الشيء ميل عليه ونيل منه (فهو ضعيف). ومنه الفتور للضعف، والطفل للصبي لضعفه..». (٢٩)

والحقيقة، ان رأي ابن جني جدير بالاعتبار مع ما فيه من توسع ومنطق نظري، فهو ينفع الدارس في تخمين معاني الكلمات الغامضة عن طريق تقليب مادة الكلمة او النظر الى أصواتها وجرسها. كما يمكن الاستئناس به في تحليل النصوص الأدبية عن طريق دراسة ايحاءات اللفظة وأبعادها، فاذا علمنا ما في الكلمة واستخداماتها ودلالاتها، فان ذلك يغني النص ويساعد الدارس على تذوقه. ويتضح هذا جلياً في دراستنا للآداب العربية القديمة، فعلى قدم تاريخها الذي يضرب في العصر الجاهلي نجد اعماقاً في شعر الشنفرى مثلاً وزهير وامرىء القيس وغيرهم قد لا تجدها في الشعر المعاصر. هذا الاعجاب باللغة العربية ومحاولة البحث عن صفاتها

---

٢٧ ـ الصحل: البحة في الصوت.
٢٨ ـ الخصائص ٢/١٦٣.
٢٩ ـ الخصائص ٢/١٦٦ ـ ١٦٨.

نجده عند كثير غير ابن جني مثل ابن فارس والبيروني والرازي وابن القيم الجوزية وغيرهم من علماء العرب والمسلمين. [٣٠]

حـ ـ رأي علماء اللغة الغربيين :

انفتح ملف العلاقة بين اللفظ ومعناه او مدلوله مرة ثالثة بعد فترة هدوء على يدي اللغوي همبلت Humboldt (ت ـ ١٨٣٥) في القرن التاسع عشر. فرأى همبلت ان «اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة الفاظ اثرها في الآذان يشبه اثر تلك الاشياء في الأذهان». [٣١] بمعنى انه كان من أنصار العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله.

وقد عارض مدفيج Madvig (ت ١٨٤٢) رأي همبلت، وأورد أمثلة لا تتضح فيها هذه الصلة.

أما جسبرسن Jespersen فوقف موقفا وسطا إذ قبل قول همبلت، وأضاف ان بعض الأصوات ليس له علاقة بالمعنى. وفصل القول في الأصوات التي لها علاقة طبيعية بالمعنى على النحو التالي: [٣٤]

أ ـ ألفاظ تعبر عن الأصوات الطبيعية مثل صوت الماء والطنين والرنين والخرير والصهيل والزئير والشخير والتأفف والقهقهة. . الخ.

ب ـ ألفاظ تعبر عن الأصوات المحدثة من الانسان او الحيوان مثل الصفع، والطرق، والضرب والرفس والارتطام. .

جـ ـ ألفاظ تعبر عن الحالة العقلية والنفسية: كالتوجع والكره والنفور والمهانة.

ويرى ان الصيغ القصيرة اكثر ملاءمة من الطويلة لتعيين الحالة النفسية والعقلية، أما الصيغ الطويلة فقد تصلح للنداء والاستغاثة والاستعطاف والتوسل.

---

٣٠ ـ انظر د. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب ص ٢٠٨، ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٣١ ـ د. ابراهيم انيس. دلالة الألفاظ ٦٩ ـ ٧١.

٣٢ ـ انظر المرجعين السابقين: دلالة الألفاظ: ص ٦٩ ـ ٧١ والدلالة اللغوية ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

د - زيادة الجرس في الألفاظ مرتبط بزيادة المعنى فيها مثل الومض والبصيص Glimmer & Gleam وكسرَ وكسّر في العربية.

من ذلك نرى انه حصر العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله في اطار ضيق مما جعله اكثر ميلا لعدم وجود علاقة طبيعية بينهما ويبدو ان معظم علماء اللغة المحدثين يميلون الى رفض العلاقة بين اللفظ ومدلوله وجعلها علاقة اعتباطية. ومن اشهر هؤلاء ويتني الامريكي Whitney (ت ١٨٩٤) ودي سوسير السويسري De Saussure (ت ١٩١٣) وسابير الامريكي ١٩٣٩ وغيرهم.(٣٣)

د - رأي علماء العربية المحدثين:

بقي القول بوجود صلة قوية بين اللفظ ومدلوله الاتجاه الغالب لعلماء العربية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومن أشهر هؤلاء الشدياق وجرجي زيدان والعلايلي.

وتابعهم العقاد بعد منتصف هذا القرن في دلالة الألفاظ على معانيها. واعجب د. صبحي الصالح والاستاذ محمد المبارك بهذا الرأي ايضا.

ولكن معظم الدارسين في العقدين الاخيرين ينكرون وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه، ويرون ان العلاقة اصطلاحية عرفية مكتسبة. ومن هؤلاء د. ابراهيم انيس؛ اذ يرى ان الصلة لم تولد بمولد اللفظة؛ وانما تكتسبها بكثرة التداول مع مرور الأيام. فقد يهتدي الى العلاقة او يوضحها شخص مثقف او موهوب فيلفت النظر الى وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله، فاذا صادف ذلك قبولا من الناس تبدأ عملية الربط، ولا سيما ان الذهن الانساني يميل في تعلمه الى الربط بين اللفظ ومدلوله لتزداد قدرته على الاستيعاب، ففي تعلم الطالب لكلمة (Tree (وهي اجنبية) يرسم في ذهنه شجرة، وقد يتصور حرف التاء كالساق والراء كالاغصان المتشابكة.. وبمرور الأيام تصبح هذه اللفظة مرتبطة بالشجرة. ولو كتب لهذه اللفظة ان تشيع بين الناس لاكتسبت دلالتها كما تكتسب اللفظة العربية دلالتها.

---

٣٣ - لمزيد من التفاصيل انظر د. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية ص ٢٢٨ - ٢٣٥.

وقد أجرى د. ابراهيم أنيس تجربة على طلبة دار العلوم وعينة من طـلاب الثانوية فأعطاهم بعض الصفات وطلب منهم تحديدها بناء على صوت اللفظة. ومن هذه الصفات الـرجل الهبلع (الاكـول النهم) والمرأة القهبلس (القصيـرة القميئة) والبناء الطربال (الضخم العالي). ووجد أن درجة التخمين لديهم تتراوح بين ٤ ـ ١٧ طالباً قد خمنوا المعاني الصحيحة او القريبة من اصل ٢٤ طالبا. . ثم اجرى تجربة اخرى لربط الأصوات بدلالة الاحجام فرسم شكلا كبيـرا وآخر صغيـرا واعطى لفظين ليس لهما معنى (زليع وزلوع) وطلب تحديد اللفظ الذي يطلق على الحجم الصغير، ووجد ان الكسرة أو ياء المد توحي بصغر الحجم (زليع للحجم الصغير) وكانت نسبة التخمين جيدة.[1]

يستنتج مما مضى ان العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها علاقة مكتسبة، ولكنه وجد ايضا ان هناك الفاظا ـ وهي قليلة ـ ارتبطت اصواتها بمدلولاتها، كالالفاظ التي اشار اليها جسبرسن، ولكنه يرد سبب هذا الارتباط لالف الناس لهذه الأصوات الفا جعلهم يشعرون انها مرتبطة بمعانيها. وبمعنى آخر فانه يميل الى القول بعدم وجود صلة بين اللفظ ومعناه.

عناصـر تحديـد الدلالـة

مرّ بنا القول عن أهمية الدلالة في النـظام اللغوي، وأنها غـاية الـدراسات الصرفية والنحوية وقمتها، ولهذا فان السامع والمتكلم على حد سواء يضعانها في بؤرة الشعور. فكيف يتم تحديد الدلالة؟. وباختصار شديد، يمكن القول: إن هنـاك عدداً من العناصر تشترك معاً في تحديد المعنى المراد نقله. وهذه العناصـر تبتدىء بالعنصر الصوتي مروراً بالعنصر الصرفي، والعنصر النحـوي التركيبي، والعـرف الاجتماعي، وانتهاء بالخبرة الشخصية، وفيما يلي توضيح لكل عنصر :

أ ـ العنصـر الصوتـي :

لقد تبين لنا عند الحديث عن مستويات النظام اللغوي أن الألفاظ مكونة من وحدات صوتية، وأن هذه الوحدات الصوتية حين تتسق حسب نظام لغوي، وهو هنا اللغة العربية، تعطي معنى. فالكاف والتَاء والباء تنتظم في جذر (ك ت ب) لتدل على الكتابة، وحين تنضاف اليها وحدة صوتية واحدة (ابتداء من الحركة مثل الفتحة

وانتهاء بالمقطع مثل استـ . . .) فان هذه الوحدة الصوتية تعـطي معنى اضافياً. وبمعنى آخر فانها تحدد الدلالة. قلنا ان الجذر كـ ت ب يدل على الكتابة، ولو أدخلنا الحركة لدلت كَتَبَ على الكتابة من مذكر في الزمن الماضي، ويتفق على هذا المعنى كل الناطقين بالعربية. ولو قلت كُتِبَ لدلت الوحدة الصوتية الجديدة الضمة وما تبعها من تغيير على معنى آخر وهو الكتابة من مجهول في الزمن الماضي، وبمعنى آخر فان الوحدة الصوتية الجديدة جددت المعنى. وهذا متعارف عليه عند الناطقين بالعربية. ولو قلت: كاتَب لدلت الزيادة الصوتية[٣٤] على تبادل شخصين الكتابة في الزمن الماضي. ولو قلت استكتب لدلت الزيادة الصوتية (استـ) على طلب شخص الكتابة في الزمن الماضي، والذي حدد هذا المعنى هو الزيادة الصوتية.

وكما سبق أن ضربنا أمثلة من كلام ابن جني على اختيار أصوات للدلالة على المعاني الصلبة بأصوات قوية واختيار أصوات ضعيفة للدلالة على معان لينة، فاننا نذكر بها ثانية، ونعيد الى الاذهان قوله في الفرق بين الخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء والقضم للصلب اليابس . . وفي الحركة قوله: الذِّل في الدابة ضد الصعوبة، والذُّل للانسان وهو ضد العز، وكأنهم (العرب) اختاروا للفصل بين الضمّة للانسان والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الانسان اكبر قدراً مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة لقوتها للانسان والكسرة لضعفها للدابة[٣٥]. ومنها الحِجّ والحَجُّ للاسم والمصدر . . .

وعلى مستوى الجملة تبدو أهمية العنصر الصوتي ايضاً في تحديد الدلالة، فحين نقرأ قوله تعالى: «انما يخشى الله من عباده العلماءُ» جاءت الضمة (وهي وحدة صوتية) لتعين الفاعل الذي يقوم بالخشية والفتحة (وهي وحدةصوتية) لتدل على من تقع عليه الخشية (بالاضافة الى القرينة المعنوية التي تحدد المعنى). وفي الآية الأخرى «ان الله بريء من المشركين ورسوله»، تأتي الضمة في رسوله (وهي وحدة صوتية) لتجعل البراءة فقط من المشركين، وجاءت ايضاً لتنبه الى أن الرسول ايضاً بريء من المشركين. لاحظ نفي الاشراك والجمع بين الله ورسوله لو قلنا ان الله ورسوله بريئان من المشركين. ويتضح هذا الأمر في الأمثلة المصنوعة لعدم وجود قيد معنوي؛ فحين

---

٣٤ ـ المصدر السابق.

٣٥ ـ ابن جني المحتسب ١٨/٢ نقلا عن د. عبد الكريم مجاهد الدلالة اللغوية ص ٢١٦.

نقول شكر زيدٌ عمراً، أو شكر عمراً زيد ما زال مع اختلاف الموقع (الفاعل) زيداً والمفعول به عمرا، والذي دل على ذلك هو الحركة (التنوين وحدة صوتية).

تدريـــب :

أ) هات أمثلة أخرى تبين فيها أثر العنصر الصوتي في تحديد المعنى.

ب) وضح كيف جاءت الوحدات الصوتية فيما يلي دالـة على المعنى من خـلال التقابل:

١ - صَعِد - سَعِد.

٢ - ضَرَبَ - تَضْرِب.

٣ - قلم - ألم.

٤ - مترجِم - مترجَم.

٥ - وَجَدَنا المعلم - وجدْنا المعلم.

٦ - شاهدت الوزير وزيداً - شاهدت الوزير زيداً.

ب - عنصـر البنيـة الصرفيـة :

ذكرنا فيما سبق ان المستوى الصـرفي يدرس التغيـرات التي تطرأ عـلى أبنية الألفاظ فتؤدي معاني جديدة. وذكرنا - أيضاً - أن هذه التغيرات هي وحدات صوتية تكون إما سابقة أو لاحقة أو داخلة في الكلمة [مثل: يضرب، ضارب، ضربت على الترتيب]. وبهذا تبين ارتباط الدرس الصوتي بالدرس الصرفي. والدرس الصرفي يعتبر مقدمة للدرس النحوي وملازماً له في العربية؛ لأن اهتمام الصرف ببنية الكلمة انما هو لاستعمالها في تركيب نحوي.

ومن المعروف أن لكل قسم من أقسام الكلام دلالة. فالاسم اذا كان مصدراً فانه يدل على الحدث، مثل: الكتابة والمعرفة والتفسير والشرح. واذا كان علماً فانه يدل على شيء: ذات أو معنى؛ مثل خالد وحسن ورجل وشجرة وهواء . . . والفعل يدل على الحدث في زمن معين، فدرَس تدل على الدراسة في الزمن الماضي، ويدرس تدل على الحدث في الزمن الحاضر من قبل شخص غائب، وادرس تدل على أمر المخاطب بالدراسة . . . وأما الحروف فهي أدوات تربط الكلام، ليس لها معنى محدد دون الجملة، بمعنى أن لها دلالة نحوية . .

وأي تغيير في بنية الكلمة فانه يؤثر في المعنى الذي تؤديه الكلمة. وبالطبع فان ابناء اللغة الواحدة يتعارفون ويرثون النظام اللغوي مما يجعل للتغيير دلالة واضحة. فلو قلت لعربي: «حضر»، فانه يفهم أن شخصاً أو شيئاً ما قد حضر، وان قلت: أَحضَرَ . . .، فانك تحس أن شخصاً ما قام باحضار شيء. ادرس الأمثلة التالية ولاحظ الفرق في المعنى بسبب تغير الصيغة:

خرج الرجل ـ أخرجت الرجل (للتعدية)
ضَرَب زيد عمراً ـ ضارب زيد عمراً (للمشاركة)
أغلقت الباب ـ غلّقت الباب (للتكثير)
حدب ظهره ـ احدودب ظهره (للقوة)

شاكر ـ مشكور
ثلّج ـ ثلاّجة
بليغ ـ مبالغ
كذاب ـ كاذب . . الخ

ما الذي يجعلنا نتصور شيئين مختلفين حين نسمع أيا من الكلمات المتقابلة؟! وما الذي يجعلنا نختار لفظاً معيناً دون لفظ آخر للتعبير عن معنى معين؟ . فنحن حين ننفي خبراً نقول هذا غير صحيح. ولكن اذا أردنا أداء معنى أقوى نقول هذا كذب، واذا أردنا مهاجمة الشخص ننتقل من وصف الخبر الى وصف الشخص ذاته فنقول كاذب، واذا أردنا الشدة اكثر فاننا نقول كذّاب . . . لاحظ دلالة كل صيغة من هذه الصيغ تدرك أهمية عنصر البنية الصرفية في تحديد المعنى.

وقد تنبّه ابن جني الى أهمية العنصر الصرفي كما تنبه غيره من النحاة العرب حين تحدثوا عن معاني المدات، ودلالات الصيغ. ومن ملاحظات ابن جني الدقيقة في هذا الموضوع، تفريقه بين صيغة مَفْعل ومِفْعل، اذ جعل الميم المفتوحة تدل على الحدث (المصدر) كما تدل على الثبات في مقابل الميم المكسورة التي تدل على اسم الآلة غير الثابت، يقول: «قولهم للسلم مِرْقاة وللدرجة مَرقاة فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي. وكسر الميم مما ينقل ويعتمل عليه به كالمطرقة والمئزر

والمنجل. وفتحة ميم مَرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة والمثابة(٣٦).

ومن ذلك أيضاً ملاحظته أن العرب تصف بالمصدر، فيقولون: «رجل عدلٌ بدلاً من قولهم: رجل عادل (وهو الأصل) أو قولهم رجل شر بدلاً من شرير، وانما انصرفت العرب عن الاصل في بعض الاحوال الى أن وصفت بالمصدر لأمرين: احدهما صناعي (مادي) والآخر معنوي. أما الصناعي فليزيدك أنساً بشبه المصدر للصفة.. وأما المعنوي فلأنه اذا وُصِف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه»(٣٧). وبمعنى آخر أصبح الرجل مبالغاً في وصفه بالعدل أو الشر كأنه مخلوق من أحدهما لكثرة اعتياده فعل الشر أو فعل العدل. وابن جني، في هذا القول، يقرر قاعدتين هما: إنابة المصدر عن اسم الفاعل أو اسم المفعول والمبالغة في دلالتها حين يستعمل بدلاً منها. وهنا نلاحظ انتقالنا الى دائرة التركيب وهو العنصر الثالث في تحديد المعنى، وسيأتي بيانه بعد هذا التدريب.

تطبيق وتدريب:

* **تطبيق**:ـ بيّن الدلالات المترتبة على اختلاف الصيغ المتقابلة فيما يلي:

تدرس ـ تدرسين

أفكر ـ نفكر

يَهدي ـ يُهدي

حصد ـ أحصد

تقويم ـ تقييم

ملك ـ ملكوت

الأردن ـ أردني

يفهم السامع من الفعل الاول أن فعل الدراسة قد وقع في الوقت الحاضر من المخاطب المذكر (أنتَ) أو من الغائبة (هي). وفي هذه الحالة نحتاج الى سياق أو تركيب ليحدد الفاعل. أما الفعل تدرسين فهو يدل على أن الدراسة قد وقعت في

---

٣٦ ـ الخصائص ١٠٠/٣.

٣٧ ـ الخصائص ٢٥٩/٣.

الوقت الحاضر - أيضاً - لكن من المخاطبة المؤنثة (أنتِ). وسبب إدراكنا لهذا المعنى من الصيغة لأن قواعد (نظام) اللغة العربية تنص على ذلك. وفي المجموعة الثانية أفكر - نفكر فهما فعلان يدلان على وقوع التفكير في الوقت الحاضر لكن الأول قام به المتكلم المفرد والثاني قام به المتكلمون.

وفي المجموعة الثالثة يَهدي ويُهدي، كلاهما يدل على وقوع الفعل في الحاضر، ولكن الفعل الأول مصاغ من هَدَيَ ومنه الهداية [راجع مادة هَدَي في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للأمثلة] أما الفعل الثاني فهو مأخوذ من أهدى من الهدية. وعليه لا نقول أهديكم سلامي وإنما أُهديكم وهو يُهدي سلامه . . .

وفي المجموعة الرابعة حصد وأحصد، كلاهما يدل على وقوع الفعل في الماضي، ولكن فاعل الفعل الأول ضمير تقديره هو يشير شخص كالفلاح، أما الثاني فيدل على الاستحقاق بمعنى أحصد الزرع أي حان وقت حصده.

وفي المجموعة التالية مصدران مختلفان، يمكن ارجاع الاول الى قوم بمعنى صحح والثاني من قيم أي جعل قيمة، وعليه فالتقويم هو تعديل وتصحيح، والتقييم هو التثمين او اعطاء قيمة للشيء.

وفي مجموعة ملك ملكوت، دلت اللفظة الاولى على الفعل وفي الثانية على الاسم والفرق بين مُلْك وملكوت كما يصرح ابن جني ان الثانية تفيد المبالغة «ولا يطلق الملكوت الا الى الامر العظيم ونظيرهُ الجبروت والرغبوت والرهبوت»[٣٨].

وفي المجموعة الأخيرة تشير الاردن الى اسم علم وهو القطر الذي نعيش فيه، أما أردني فهو نسبة الى من يعيش فيه متجنساً به. وقد دلت الصيغة على هذا المعنى كما دلت الصيغ الأخرى على المعاني المذكورة.

* تدريـــب:

١ - وضح أثر البنية الصرفية في تحديد الدلالة من خلال عدة أمثلة.

٢ - ما المعنى المستفاد من الصيغ المتقابلة التالية [استشر المعجم ما لزم الأمر]:

القِوام - القَوام

الذِل - الذُل

---

٣٨ - ابن جني المحتسب جـ ٢، ص ٢١٨. نقلا عن د. عبد الكريم مجاهد. الدلالة اللغوية عند العرب، ص ١٩٢.

مستشفى ـ مشفى

مقاتِل ـ قاتِل

حاسوب ـ حاسب

جـ ـ العنصر النحوي والتركيبي :

يساعدنا العنصر النحوي على فهم وظيفة كل كلمة في التركيب. وقد مرّ بنا عند الحديث عن فاعل تدرس، أنه ربما يكون أنتَ أو هي، والذي يحدد أحدهما هو السياق، فلو قلت: «رأيتك تدرس» لتحدد الفاعل بأنت.

وقد نبه اللغويون العرب قبل قرون خلت على هذه الحقيقة. وأكد هذا المعنى رائد النظرية التوليدية التحويلية تشومسكي N. Chamsky، فقرر أن معرفة العلاقات في البنية التحتية أو العميقة ضروري لتفسير الجملة تفسيراً دلالياً صحيحاً[٣٩]. بمعنى أن ندرس العناصر المكونة للجملة وما فيهامن عناصر تحويلية كالترتيب والزيادة والحذف والتقديم والتأخير والحركة الاعرابية والتنغيم. فجملة : محمد رسول جملة بسيطة سطحية (المعنى قريب وليس في الجملة عنصر من عناصر التحويل السابقة الذكر) فان قلت إن محمدا او ما محمد الا رسول . . . فان معنى الجملة ازداد بسبب التحويل الذي طرأ على التركيب. . .

والاعراب في اللغة العربية يقوم بدور أساسي في تحديد الوظائف النحوية للكلمات من خلال حركاته التي تفرق بين كلمة واخرى بالاشتراك مع العنصر الصرفي الذي يميز بين الاسم والفعل والحرف . . فحين نقول: بلّغ محمد الرسالة تكون الجملة على الأصل (فعل ففاعل فمفعول به) ويفهم السامع الخبر. ولكن لو قال القائل: «محمدٌ بلّغ الرسالة» فإنه خرج عن الأصل في الترتيب لهدف وهو التركيز على الفاعل فأخرجه من موقعه وقدمه الى بؤرة المعنى، وجاءت الجملة بلغ الرسالة متممة للمعنى مخبرة عن محمد. ولو قال القائل: «الرسالة بلّغ محمد» فان الرسالة تقدمت الى بؤرة المعنى. فهذه المعاني الجديدة حصلت بسبب التركيب الجديد.

وفى مواقفنا الحياتية نستعمل هذا الاسلوب بعفوية طبيعية، ففي أيام نتائج

٣٩ ـ انظر د. خليل عمايره، في نحو اللغة وتركيبها ط ١، عالم المعرفة، جدة سنة ١٩٨٤، ص ٥٤ ـ ٦٨.

الامتحانات يذهب أحدهم ليرى نتيجة أخته مثلاً وحين يرجع يقول: «نجحت فاطمة». مثلا مع التركيز على نجحت بالتوقف عليها، لأن المراد معرفته هو الفعل. ويرى الناس جنازة ولا يعرفون صاحبها فيعود الولد بعد استطلاع الخبر ليقول «فلان (اسم) مات». وفي هذا المعنى يقول ابن جني في توجيهه لقراءة يزيد البربري للآية الكريمة: «وعَلِّمَ آدَمَ الاسماءَ كلها» (والجمهور على: «وعَلَّم آدمُ الاسماء كلها): إن أصل وضع المفعول أن يكون فَضْلة وبعد الفاعل كضرب زيد عمراً، فاذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفعل فقالوا عمراً ضرب زيد، فان تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فقالوا عمرو ضربه زيد، فجاؤوا به مجيئاً ينافي كونه فضلة، ثم زادوا على هذه الرتبة فقالوا عمرو ضرب زيدٌ، فحذفوا ضميره (في ضربه) ونوّنوه ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص (أي بنوا الفعل للمجهول) وألغوا ذكر الفاعل مُظْهَراً ومُضمراً، فقالوا: ضُرب عمرو، فاطّرح ذكر الفاعل البتة، نعم وأسندوا بعض الافعال الى المفعول دون الفاعل البتة، وهو قولهم: أولعت بالشيء ولا يقولون أولعني به كذا، وقالوا ثُلج فؤاد الرجل ولم يقولوا ثلَجَه كذا، وامتقع لونه ولم يقولوا امتقعه .. فاذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة ـ حتى الغوا حديث الفاعل معها وبنوا الفعل لمفعوله ـ قالوا: ضُرِبَ زيد ـ حسن قوله تعالى: «وعُلِّم آدمُ الاسماءَ كلها» لما كان فيه أنه قد عرفها وعَلِمها...(٤٠).

وللطالب أن يتذكر أمثلة التقديم والتأخير في الجملة الإسمية والفعلية ليجد أمثلة كثيرة وشواهد أدبية.

ومن الأمثلة التي تبين اهمية التركيب في تحديد وظائف الكلمات صيغة سائل التي تحير السامع في مدلولها أهي اسم فاعل من سأل أم من سال أم هي اسم أم أنها فعل أمر؟ وهنا لا بد من التركيب الذي يحدد معناها فحين نقول: سأل سائل يتجه معناها الى شخص عادي يسأل .. واذا قلنا اعطيت السائل درهما كان هذا السائل متسولاً أو محتاجاً وان قلت: حالات المادة ثلاث: وعددت السائل منها دلت على أنها

٤٠ ـ ابن جني المحتسب جـ ١ ص ٦٤ ـ ٦٥ نقلا عن د. عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

مشتقة من سال. وان قلت سائل العلياء عنا والزمانا . . فانك تعني اسأل فهي فعل أمر.

والفعل الماضي يدل من حيث الصياغة على أن الحدث قد وقع في الزمن الماضي، ولكن تركيب الجملة قد يجعل الماضي يتحول الى المستقبل في مثل قوله تعالى: «اذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً». فالفعل جاء ماض ولكنه من حيث المعنى أصبح يدل بسبب الشرط (اذا) على المستقبل، وكذلك الفعل رأى لأنه معطوف عليه. أما الفعل الناقص كان فنقول في اعرابه فعل ماض ناقص، وبسبب المعنى فانه يدل على الاستمرار لأن الله تواب. .

والفعل المضارع يرتبط بالزمن الحاضر ومن المحتمل ان يدل على المستقبل. ولكن التركيب يجعل دلالته تتحدد لتدل على شيء ثابت. فان قلت يقرأ الطالب الآن دلت على الحاضر، وان قلت: يقرأ الطالب غداً دلت على المستقبل، كأنك تقول سيقرأ . . . ومن جهة اخرى، اذا دخلت عليه «لم» غيّرت دلالته الزمنية لتشير الى الماضي نحو قولك لم أدرس أي ما درست حتى الساعة. وعلى عكس ذلك اذا دخلت «لن» فانها تدل على الزمن المستقبل كقولك «لن ادرس».

والفعل الأمر معناه طلب عمل الفعل على وجه الالزام للمخاطب، فحين تقول اجلس تأمر المخاطب بالجلوس. ولكن التركيب يحدد وقت الجلوس ما اذا كان الآن أم في المستقبل كقولك احضر غداً. ومن جهة أخرى، قلنا ان الفعل الأمر يعني طلب العمل على وجه الإلزام، لكن أي الزام في قولنا «اللهم صلِّ على محمد» أو «ربنا اغفر لنا» فالسياق أو القرينة المعنوية تجعل الأمر يخرج عن المعنى الحقيقي الى معنى آخر كالدعاء في المثلين السابقين.

تلك أمثلة على تحديد التركيب النحوي للمعنى. وقد اتضح خلالها تعاون

---

٤١ ـ ميز د. تمام حسان بين نوعين من النبر: احدهما النبر الصرفي وهو خروج الهواء بقوة على احد المقاطع في صيغ حرفية كاسم الفاعل اذ ينبر المقطع الأول منه: طالب واسم المفعول ينبر وسطه واما صيغة مستفعل فتنبر التاء فيها. وهذا النوع من النبر لا يؤثر في المعنى في لغتنا العربية بينما يؤثر في المعنى في اللغة الانجليزية كما هو الحال في Permit. (اذن) و Permit (يأذن). . والثاني يسميه نبر السياق اي النبر الذي يقع في الجمل وهو ما يسميه الدكتور محمود سعران بارتكاز الجملة. انظر علم اللغة ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ و د. تمام حسان. مناهج البحث في اللغة ص ١٦٠ ـ ١٦٢.

العناصر الصوتية والصرفية والنحوية لتحديد المعنى.

ومن المظاهر الصوتية التي تساعد على تحديد المعنى ما يسمى بالتنغيم (Intonation) أو النبر السياقي أو ارتكاز الجملة[٤١]. ويعرّفه د. السعران بأنه: «المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام»[٤٢].

وقد تنبه ابن جني وقبله سيبويه الى أهمية النبر[٤٣]. فقال معقباً على قول العرب «سير عليه ليل»، وهم يريدون ليل طويل: «وكأن هذا انما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح (التطويل) والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح انسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ (بالله) وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه انساناً! وتمكن الصوت بانسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك انساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك اذا ذممته ووصفته بالضيق قلت سألناه، وكان انساناً! وتزوي وجهك وتقطّبه فيغني ذلك عن قولك انساناً لئيماً أو انساناً لَحِزا (ضيق الخلق) أو مبخلاً أو نحو ذلك»[٤٤].

ومثل هذا نعايشه في حياتنا اليومية، فتنغيم نعم يختلف حسب المعنى المراد تأديته، فاذا أردت الاستفهام نَغّمت نعم؟ بطريقة يفهمها المتكلم، وان أردت الاثبات جاءت نغمة (نعم) قاطعة يفهمها المتكلم، وان اردت الاستهزاء مددت

---

٤٢ ـ علم اللغة ص ٢١٠، ويعرفه د. ابراهيم انيس في الأصوات اللغوية ص ١٦٩ بقوة النفس في نطق الصوت وعلامته اننا نلحظ جميع اعضاء النطق تنشط نشاطا كبيرا عند نطق مقطع منبور.

٤٣ ـ من الأمثلة التي ضربها ابن جني تدل على ادراكه لأهمية التنغيم، الا ان هنري فليس Henry Flesch نفى ان تكون فكرة النبر في الجملة معروفة لدى علماء العربية (كتابة: العربية الفصحى، تعريب د. عبد الصبور شاهين ط ١/ المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٦٦ ص ٤٩، ١٨٢) ويتشكل د. تمام حسان بمعرفة القدماء لها. (كتابة: مناهج البحث في اللغة ص ١٦٣ ـ ١٦٤) وأما د. انيس فريحة فيرى ان قضية النبر لم يعرها العرب اقل انتباه. (كتابه: اللهجات واسلوب دراستها. محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية. جامعة الدول العربية القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٧٠ واما د. عبده الراجحي فيؤكد معرفة العرب لها.

٤٤ ـ ابن جني، الخصائص ٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

الصوت وزويت الوجه بنعم؟! وهكذا تختلف نغمة «تفضل» أو «لا» حسب الموقف.

وكثيراً ما يطلب الأساتذة من طلابهم اداء القراءة الجهرية بطريقة معبرة، بمعنى ان يراعوا التنغيم، فالجملة الاستفهامية تقرأ بنغمة الاستفهام، والتعجب بالتعجب، والجملة التقريرية بنغمة مستوية، ومن هنا نحس بوجود صلة بين الترقيم والتنغيم. إذ إن الاول في الكلام المكتوب، والتنغيم في الكلام المنطوق. وكلاهما يساعد على فهم المعنى بل ان التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة(٤٥). فمثلاً، نبه علماء التفسير على أن اداة الاستفهام في قوله تعالى: «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا» ليست للاستفهام، وانما جاءت بمعنى قد للتحقيق، ولهذا فهي تقرأ بنغمة صوتية مستوية، ومثلها قول الشاعر:

حتى اذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط

فـ «هل» ليست للاستفهام وإنما يمكن تأويلها بجاءوا بمذق يشبه لون الذئب.

وعلى عكس ذلك تأتي الجمل خلواً من الأداة ولكنها تعني الاستفهام، كما في قوله تعالى «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبتغي مرضاة أزواجك» والمقصود أتبتغي مرضاة أزواجك. ومثلها قول عمر بن أبي ربيعة:

قالوا: تحبها؟ قلت بهراً عدد النجم والحصى والتراب.

والمقصود قالوا: أتحبها... (٤٦).

وفي حياتنا اليومية كثيراً ما نسقط أداة الاستفهام ونجعل النغمة تقوم بهذا الدور، مما يدل على أن التنغيم من العناصر النحوية التي تحدد المعنى. فنقول للخباز مثلاً: «عندك خبز؟». ونقول: «مرّ بكم فلان؟» بمعنى هل مرّ... الخ.

وهناك مواقف في اللغة المكتوبة تستدعي الترقيم، وإلا فان المعنى سينعكس أو يتشوه. ومن أمثلة ذلك:

لا أيدك الله. لا رعاك الله.

مات سعيد وأخوه في سفر.

---

٤٥ ـ د. تمام حسان. اللغة العربية ص ٢٢٦.

٤٦ ـ د. كمال بشر. علم اللغة العام ـ الاصوات ص ١٨٩ ـ ١٩٥ وانظر د. خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها ص ١٧٤.

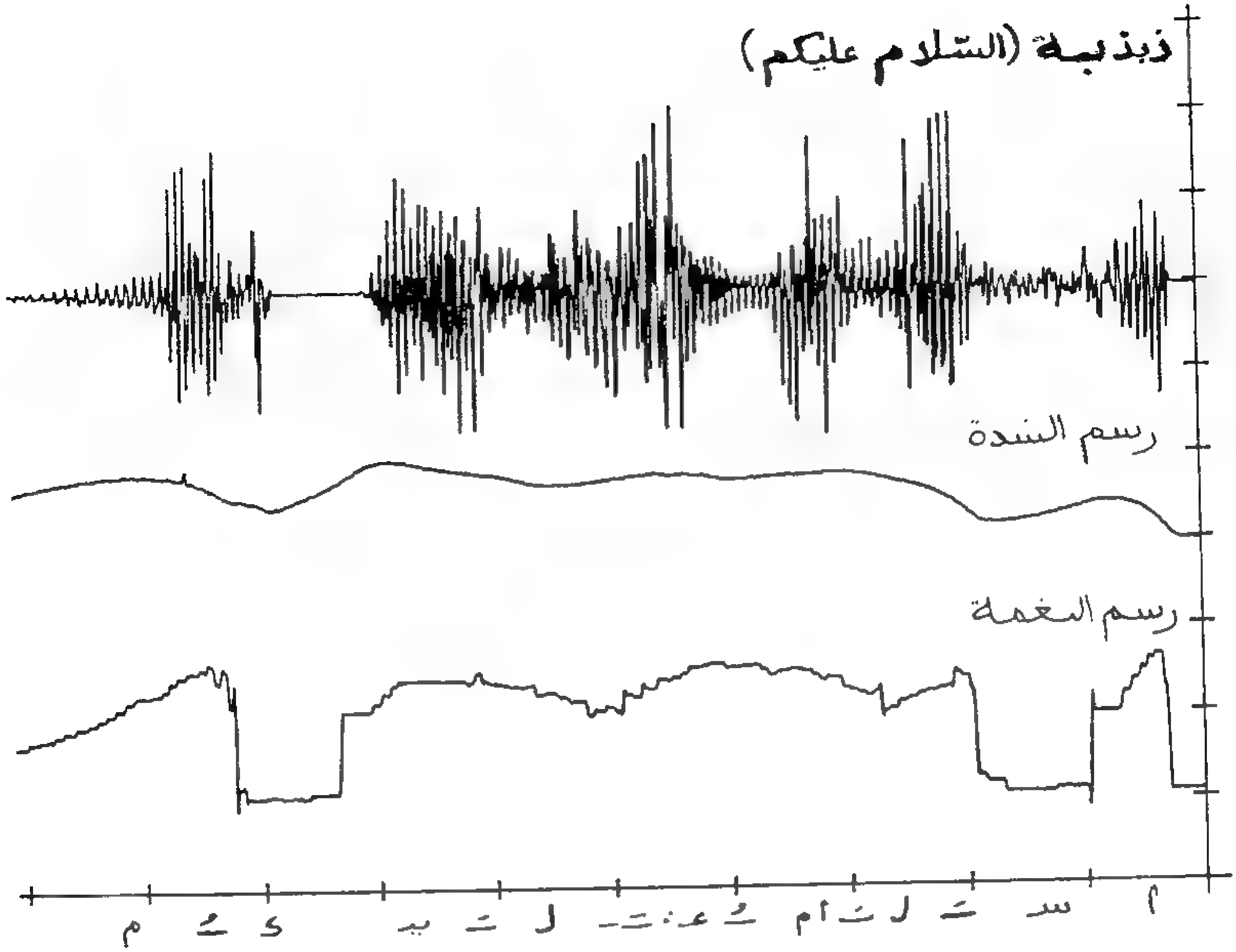

فأنت تقصد الدعاء له في المثلين الاولين، لهذا لا بد من وجود فصل بين لا والجملة بعدها فتكتب: لا. أيدك الله. أو: لا. رعاك الله. وأما في الجملة الثالثة فالمعنى غير واضح لاحتمال موت سعيد وأخوه اثناء سفرهما. مع أن المعنى الآخر هو موت سعيد فقط اثناء سفر أخيه. وعليه توضع فاصلة حسب المعنى المقصود هكذا:

مات سعيد وأخوه، في سفر. لتوضح المعنى الاول

مات سعيد، وأخوه في سفر. لتوضح المعنى الثاني.

أما في اللغة المنطوقة، فان المتكلم للدعاء الأول يجب أن يتوقف على لا، ثم يكمل الجملة. أو يضيف واو الوصل فتكون الجملة منطوقة: لا وأيدك الله، لا ورعاك الله. أما في المثل الثالث فان الجملة تنطق بتنغيم خاص يزيل اللبس.

وفي القرآن الكريم مواقف يجب الوقوف عليها بما يسمى في رموز القرآن

بالوقف اللازم (مـ) كقوله تعالى: «وما يعلم تأويله الا الله والـراسخون في العلم يقولون» فيجب الوقوف على لفظ الجلالة، والا يخرج النص عن المعنى المقصود.

ومن جهة أخرى هناك مواطن في القرآن يجب الوصل فيها والا اختل المعنى. وعادة يرمز لها بـ (لا) مثل: «فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون». أو «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى».

ويمكن للطالب مراجعة درس الوصل والفصـل في كتب النحو ليـرى أهمية التنغيم والترقيم في تحديد الدلالة.

التنغيم وأثره في تحديد الدلالة:

وقد ميز علماء اللغة بين ثلاثة انواع من التنغيم هي:

١ ـ التنغيم الصاعد Rising Tone؛ وهي تدرّج ارتفاع درجة الصوت من اسفل الى أعلى حتى المقطع الأخير. وغالباً ما يرتبط بالاستفهام مثل: ما اسمك؟.

٢ ـ التنغيم الهابط (Falling Tone): وهو تدرج نزول درجة الصوت من اعلى الى اسفل حتى المقطع الأخير. وغالبا ما يستعمل هذا التنغيم في التقرير ليدل على انتهاء الجملة. مثل: قابلت عمك في السيارة.

٣ ـ التنغيم المستوي: وهو استواء درجة الصوت في وقوف المتكلم قبل تمام المعنى؛ كالوقوف على البصر، القمر، القمر في قوله تعالى: «فإذا بَرِق البصرُ وخَسَفَ القمرُ وجُمِعَ الشمسُ والقمر، يقول الانسان يومئذ: أين المفر»؟.

وقد أجرى د. سلمان العاني استاذ الدراسات الصوتيـة في جامعـة انديـانا تجارب لقياس درجة التنغيم في انواع الجمل.[٤٧] فسجل كلام شخصين ثم عرض الكلام على جهاز خاص (الاسبكتروجراف Spectrograph) لتحـويل الـذبذبـات الصوتية الى صور مرئية. ووجد ان الذبذبات الأولية للمقاطع المتتابعة في جملة خبرية ما تبدأ من المستوى المتوسط (رقم ٢) وتستمر حتى المقطع الأخير حيث تنزل فجأة الى المستوى الأول (رقم واحد)، كما في جملة: السلام عليكم.

---

٤٧ ـ د. سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية ت د. ياسر الملاح. النـادي الادبي الثقافي جـدّة سنة ١٩٨٣. ص ١٤٣ ـ ١٤٧.

كما وجد ان جملة الأمر تبدأ ذبذباتها بالمستوى الثاني (المتوسط) ثم ترتفع الى الثالث ثم تهبط الى الأول. وربما تبدأ بالمستوى الثالث فالثاني فالأول حسب الكلمة التي يراد التركيز عليها، كما في اجلس معه.

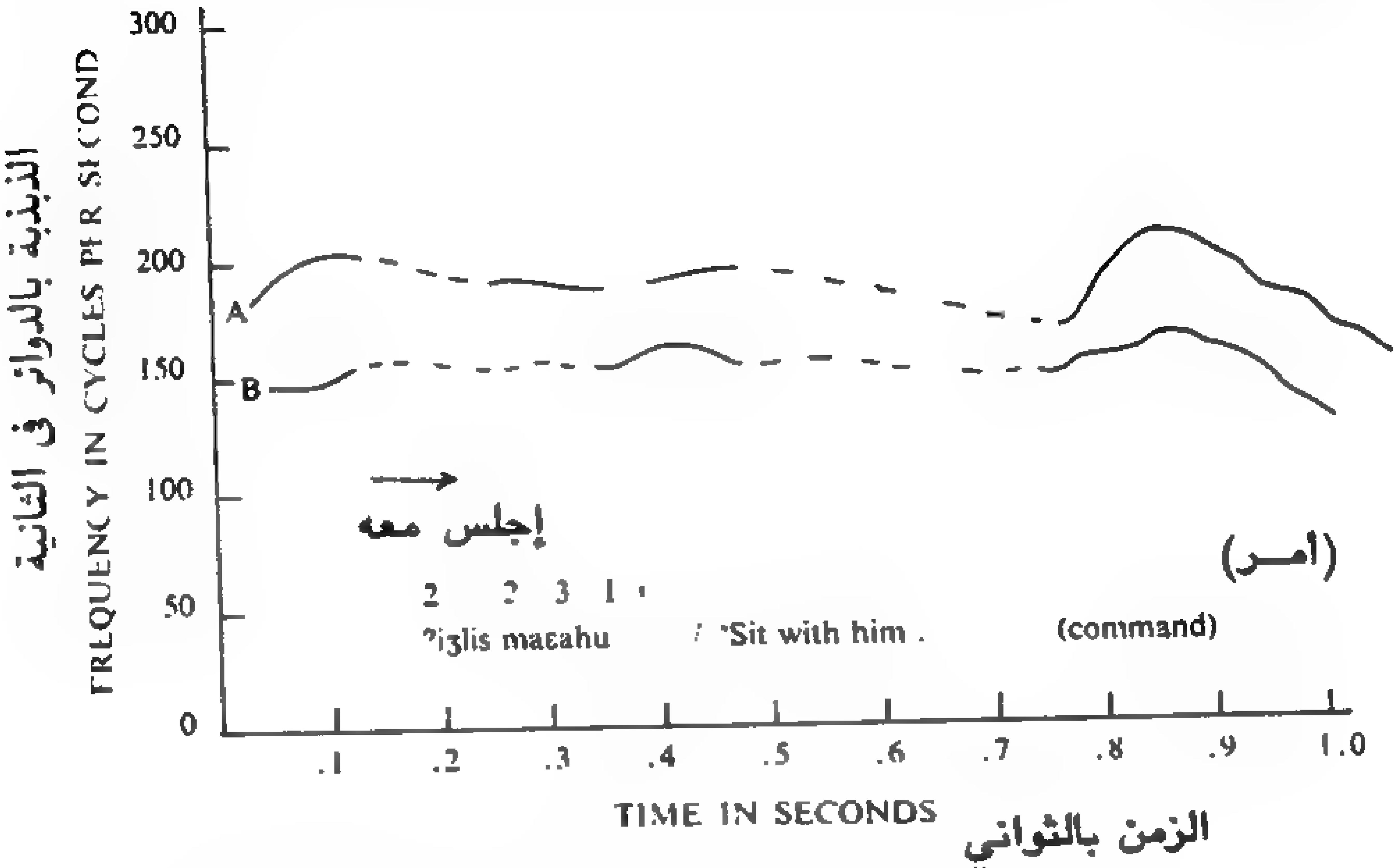

أما جملة الاستفهام فتكون الذبذبة العالية فيها على كلمة السؤال او موضوع السؤال ولذلك فان نمط السؤال يبدأ بالمستوى الثالث فالثاني فالأول. او الثاني فالثالث فالأول. انظر صورة تنغيم: ماذا تعمل؟.

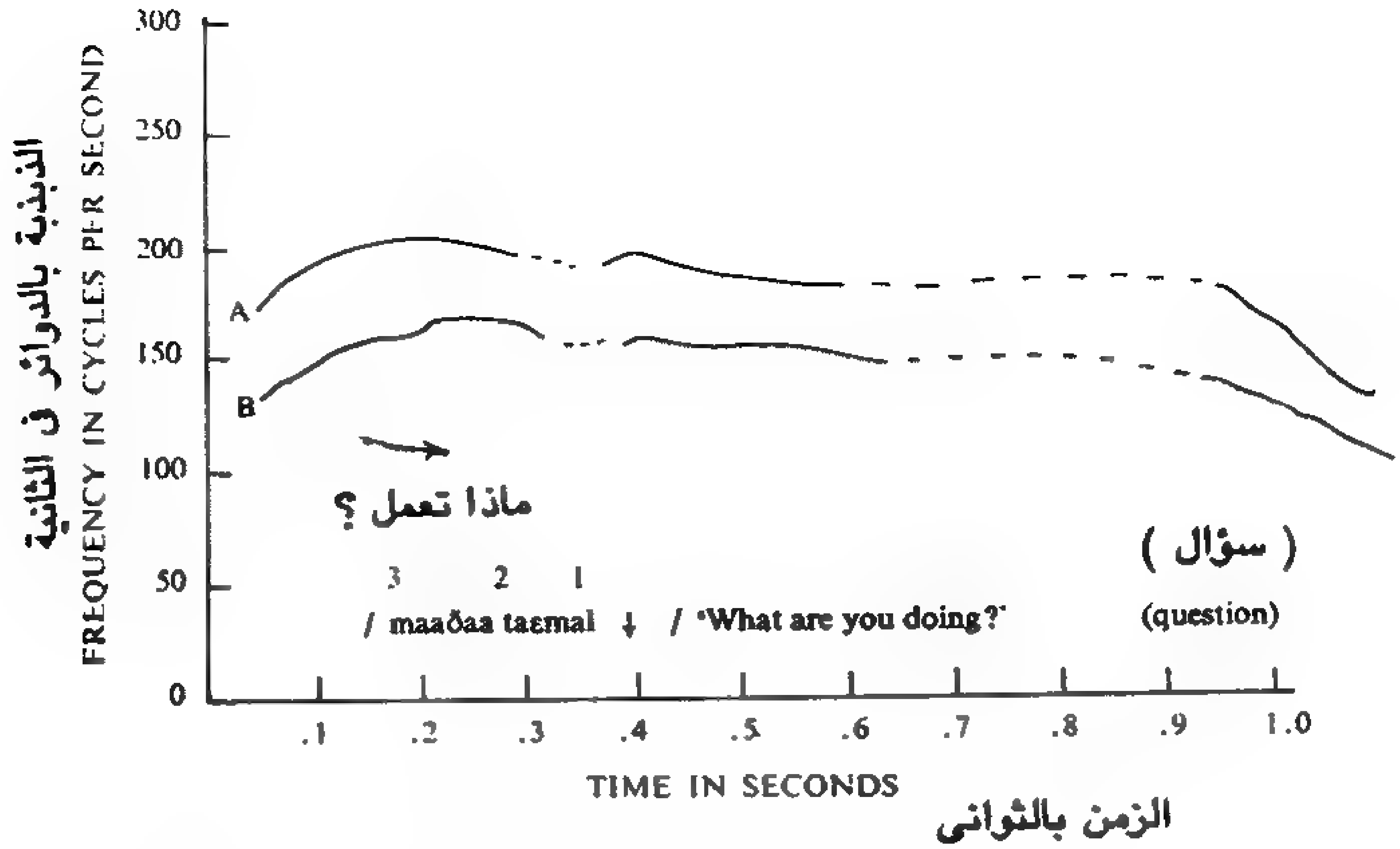

وتشبه جملة النداء والتعجب الى حد كبير جملة الاستفهام، **الا ان** نمط النداء أقصر، فتبدأ ذبذبتها من المستوى الثاني (المتوسط) ثم ترتفع الى المستوى الثالث، انظر صورة تنغيم النداء والتعجب.

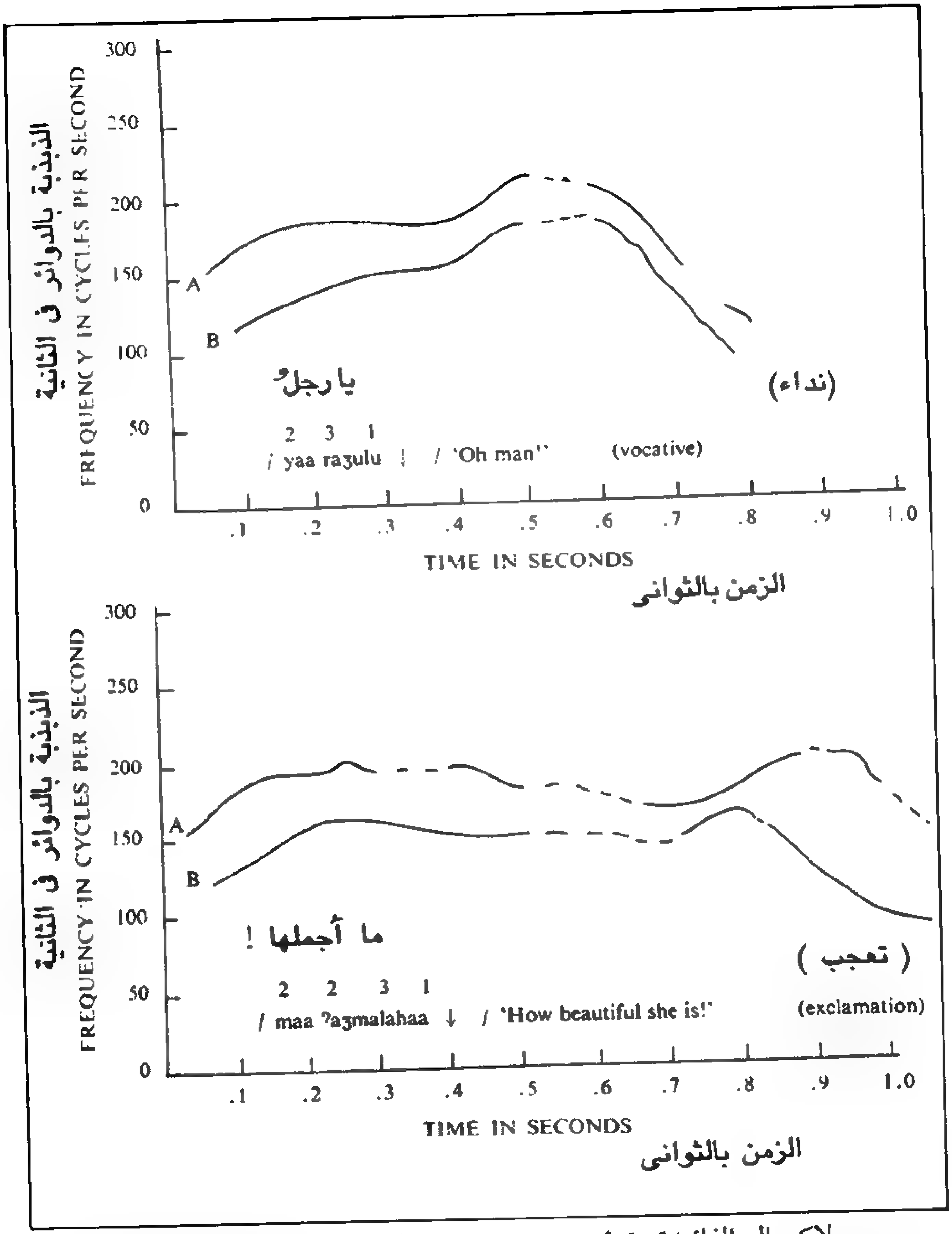

ولاكمال الفائدة وتوضيح صورة صوتية مرسومة على شاشة جهاز السبكتروغراف لاحظ صورة كلمة ردًّ وردّ (في حالة الوقف) وفظًّ وفظْ (في حالة الوقف).

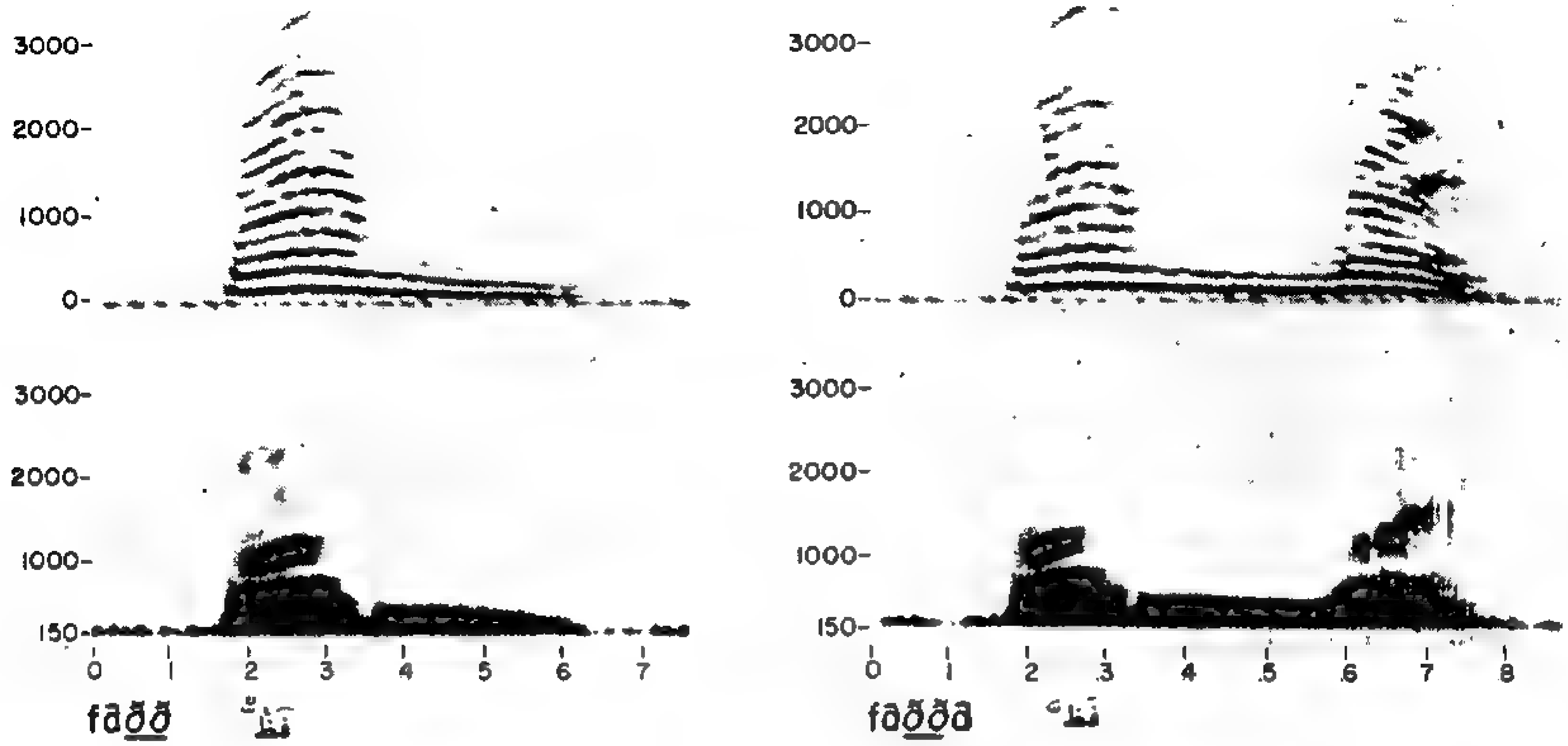

تدريبـــات:

أ ـ كيف وضَّحَ التركيب دلالة ما تحته خط فيما يلي:

١ ـ «والـوالـدات يـرضعن اولادهن حـولـين كـاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة». لاحظ الفرق لو سكتنا عن «لمن اراد ان يتم الرضاعة».

٢ ـ قال عليه السلام: «.. فان ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه».

٣ ـ تخير ما شئت فأنت اليوم مختار.

٤ ـ أخاك أخاك،

إنّ من لا أخا لـه كساع الى الهيجا بغير سلاح.

لاحظ الفرق لو كانت نهاية البيت بكل سلاح.

٥ ـ لن تستطيع معي صبرا.

ب ـ ما الفرق في المعنى بين الجمل المتقابلة؟ وكيف تحددت الدلالة؟.

١ ـ «واذا سألك عبادي عني فإني قريب». / «سأل سائل بعذاب واقع».
٢ ـ ما زال الناس بخير/ ظل الناس بخير.
٣ ـ لا استطعتَ ان تقوم / ما استطعت ان تقوم.
٤ ـ لم ابخل بمعروفي / لا ابخل بمعروفي.
٥ ـ لا. رحمك الله / لا رحمك الله.
٦ ـ صبر جميل / صبراً جميلاً.
٧ ـ «لا نبي بعدي» / لانبيٌّ بعدي.

جـ ـ اقرأ الآيات التالية بوقف وبدون وقف على علامة الوقف قراءة معبرة، ثم وضح الفرق في المعنى.

١ ـ «واتقوا الله، ان الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم». (٧ ـ ٨ الحشر).
٢ ـ «فلا يحزنك قولهم * انا نعلم ما يسرون وما يعلنون» (٧٦ يس).
٣ ـ «فلا يحزنك قولهم * ان العزة لله جميعاً». (٦٥ يونس).
٤ ـ «قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا * هذا ما وعدنا الرحمن وصدق المرسلون» (٥٢ يس).
٤ ـ «والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله». (١٩ ـ ٢٠ التوبة).
٥ ـ «وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون * وما هو الا ذكر للعالمين». (٥١ ـ ٥٢ القلم).
«٦ ـ فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة» (١٢ ـ ١٣ عبس).

د ـ استخرج من القرآن الكريم نصوصاً اخرى توضح اهمية:
١ ـ الوقف اللازم.
٢ ـ الوصل اللازم.
٣ ـ الاستفهام الذي خرج للتقرير.

هـ ـ اقرأ النص التالي واضعا علامات الترقيم، ثم اقرأه ثانية قراءة معبرة.

وأنت إذا تأملت اكثر ما يتناجى به المتحدثون وجدت اكثر السائلين يسأل عما

لا يعنيه ويعنى بما لا ينفعه ولا يضره وأكثر المجيبين يجيب ولو لم يُسأل ويتكلف مالا يعلم ولو قال له قائل من سألك لافْتَضح، ولو حاجّه فيما ادّعى ووقفه لانْقطع. ومر هشام بن عبد الملك ببعض أهل الكلفة والفضول، وعليه حُلّة طويلة يسحبها في التراب فقال له المتكلف يا هذا انك قد أفسدت ثوبك قال وما يضرك من ذلك قال ليتك ألقيته في النار قال وما ينفعك ذلك فأفحمه غاية الافحام. ولو تهيأ للمتكلفين في كل وقت مثل صرامة هشام لازدجر مَن به حياء منهم ولقلّت الفضول والكلف والغيبة.

د ـ العنصر الاجتماعي:

ادرك اللغويون العرب ان اللغة ظاهرة اجتماعية يعبر الناس بها عن افكارهم. ويتخير الانسان عادة الفاظه وينظمها في جمل حسب ما يحس به داخلياً كالرغبة او الكره.. وحسب الظروف الاجتماعية المحيطة بكل ما فيها من بشر واشياء حسية ومعنوية. فتعبيره امام جمهور مثقف يختلف عن تعبيره امام حانوتي.. ولهذا قالوا: «لكل مقام مقال».

والألفاظ تعيش مع الناس، وتنتقل من جيل الى جيل، وهي بانتقالها تكتسب دلالات اجتماعية يتعارف الناس عليها؛ فقد يتسع مدلولها وقد يضيق ويتخصص وقد يصبح اللفظ مبتذلا.

وتوجد عادة، محطات كبيرة في تاريخ الأمم، فالعرب عاشوا نظاما قبليا مغلقا في جاهليتهم، ولكنهم انتقلوا في محطتهم الكبيرة الأولى (الاسلام) الى عوالم اخرى، فأصبح لعدد كبير من الألفاظ دلالات اخرى منها: الصلاة، الحج، الشهادة، الطهارة، الفرائض، السنة، وكثير غير هذا مما نقول في تعريفه لغة واصطلاحاً.

وفي المحطة الثانية اختلط العرب بامم اخرى في آسيا وافريقيا.. وانصهرت ثقافات هذه المجتمعات في بوتقة واحدة نتج عنها ثقافة اسلامية استوعبتها اللغة العربية فدخلتها الفاظ معربة تعامل معها عرب (المتكلمون بالعربية) العصر الأموي والعباسي، ولو قدر لعربي من العصر الجاهلي ان يحيا لساعة من الزمان لما استطاع ان يفهم كل ما يقال.[٤٨] ومن هذه الألفاظ المصطلحات الحربية والادارية واللغوية. فلفظ الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر.. لها دلالات اخرى في العصر الجاهلي،

والجباية والضريبة والكبش والدبابة الفاظ تطورت دلالتها.

وفي المحطة الثالثة اتصل العرب بأمم شتى عن طريق الاستعمار والاتصالات والتجارة و. . و. . ودخلت اللغة مصطلحات تسد حاجة المجتمع في تعامله الراهن.

وعلى المستوى الداخلي، فان اي مجتمع يتكون من مجتمعات محلية صغيرة، فالأسرة مجتمع محلي له الفاظه، والريف مجتمع له صوره والفاظه والمدرسة مجتمع والمصنع مجتمع والمعسكر مجتمع، واصحاب الحرف مجتمع. . وكل مجتمع له استعمالاته الخاصة للغة.

وفي العادة، يكتسب ابناء اللغة ـ مع مرور الزمن ـ دلالات الألفاظ عن طريق التلقي والمشافهة، وتتكون لديهم مهارات كلامية (سليقة) يؤدونها دون شعور بخصائصها كما يشعر النحوي والصرفي. فالأمي يفهم لغته ولكنه عاجز عن تحليلها تحليلاً نحوياً او لغويا او تذوقياً. فحين نقول «صباح الخير» في موقف طبيعي نؤدي تحية الصباح، وهو المعنى القاموسي الذي يتمنى فيه القائل صباحاً خيّراً، ولكن حين يقول الرئيس لمرؤوسه المتأخر عن الدوام «صباح الخير» فانه ينتقده او يلومه او يعنفه (حسب التنغيم) والمرؤوس يدرك حالاً مقصود التحية على ذلك الوجه، فيقدم الاعذار (تعطلت السيارة. . مرض الولد. . الخ) مع انها ليست جوابا لصباح الخير. وهذا يدل على ان ابناء اللغة الواحدة يتعارفون على معاني اللغة، وان العنصر الاجتماعي مهم في فهم المعنى.

ومن المعروف في منطقتنا ان «ماشي» دليل الموافقة لكنها في اليمن تعني لا. والمصري حين يصف انسانا بأنه «تخين» يقصد انه متبلد وتعني في منطقتنا انه سمين على الحقيقة. ونقول في جواب «كيف حالك» مبسوط، ودلالتها في العراق دلالة سلبية.

ومن الجدير بالذكر القول إن الثقافة المشتركة بين السامع والمتكلم ضرورية

---

٤٨ ـ دليل ذلك قصة الأعرابي الذي سئل عن حركة كلمة: اهي بالضم ام بالفتح فقال «والله ما ضممت ولا قبلت وانما اقول هذا والسلام» وكذلك قصة الشاعر الذي مدح الخليفة بانه كالكلب وفاء. . ثم عاد الى مدحه بقصيدة رائعة دليل على تأثره وتأثر لغته بالبيئة.

حتى يتفاهم الطرفان ويدركا المعنى. فان قلت لشخص ثكلتك امك وهو لا يدرك انها للتلطف والمداعبة فقد يغضب عليك. ومن هذا الباب ان عربيا فشل في امتحان احدى الورقات في كلية التربية في جامعة امريكية، وراجع استاذ المادة، وبعد حديث قال العربي بتلطف اذا لم تساعدني فسأحضر عائلتي الى بيتكم، فغضب الاستاذ الامريكي واعتبره تهديدا يعاقب عليه القانون.. وأحس العربي بضرورة توضيح الموقف قبل ان تفلت الأمور من يديه، وانه انما قصد الاسترحام على عادة قومه..

ومع اهمية العنصر الاجتماعي في تحديد المعنى الا انه يصعب وضع قواعد لتحديد الدلالة الاجتماعية؛ لاختلاف العناصر الاجتماعية وسعتها. وقد حاول بعض العلماء في تخصصات متعددة بحث هذه العناصر، ومنهم فيرث Firth الذي حدد اطراً عامة اعتبرها عناصر اساسية تؤثر في فهم الحدث اللغوي على المستوى الاجتماعي. وهي:

١ - المظاهر الوثيقة الصلة بالمشاركين والسامعين، وتتضمن كلام المشاركين وأفعالهم وتصرفاتهم في اثناء الكلام.
٢ - الاشياء الوثيقة الصلة بالموقف.
٣ - أثر الحدث الكلامي.

وهو بهذا يضيف الى العنصر الصوتي والصرفي والنحوي عنصراً جديداً وهو سياق الحال، ويراه مفيداً في تحليل الحدث اللغوي ومنعكساً على المستويات السابقة.[٤٩] وقد اشار ابن جني الى اهمية سياق الحال في المعنى حين عقب على بيت الشاعر:

تقول -
وصكت وجهها بيمينها   أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟!

يقول «فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس[٥٠] من غير ان يذكر صك الوجه لأعلمنا بذلك انها متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال؛ فقال:

---

٤٩ - انظر د. محمود السعران علم اللغة، ص ٢٨٨.
٥٠ - المتقاعس: الذي يدفع صدره الى الأمام والخلف بصورة متوالية.

«وصكت وجهها» علم بذلك قوة انكارها وتعاظم الصورة لها. هذا مع انك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها اعرف، وبعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين». [٥١] وابن جني هنا يشير الى اهمية الحدث الكلامي قالت: أبعلي. . كما يشير الى الحدث غير الكلامي: وصكت وجهها كما يشير ايضا الى أثر الحدث الكلامي، فمن شاهدها وسمعها كان اشد تأثرا بها. واما انعكاس الحال على المستويات السابقة فيتضح بالحذف والتوجيه الاعرابي، فحين «ترى رجلاً قد سدد سهما نحو الغرض ثم ارسله فتسمع صوتا فتقول: القرطاس والله. أي اصاب القرطاس. . غير ان دلالة الحال عليه نابت مناب اللفظ به». [٥٢] مما يدل على ان المعنى الاجتماعي اعم من المعنى المعجمي، وان الأخير محدود ومتعارف عليه، واما المعنى الاجتماعي فهو متعلق بالظرف والموقف والناس.

وتذكر د. فاطمة محجوب ـ فيما يتصل بالمظاهر الوثيقة الصلة بالمشتركين ـ ان الجاحظ في البيان والتبيين قد ارسى مبادىء علم الحركة الجسمية Kinesics التي من اهم اركانها الاشارة. . وقد تكون باليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب. . وبالثوب وبالسيف. وكما ان للنطق اعضاء كاللسان والاسنان والحبال الصوتية، فان للحركة الجسمية اعضاء كالرأس والعينين والفم واليدين والرجلين. وكما ان لكل لفظ دلالة، فان للحركة معنى مرتبطا بالالفاظ او قائما مقامها ومثال ذلك التحية. فقد تقترن بالحركة وقد تقوم الحركة مقام اللفظ. [٥٣] ومن امثلة الاشارة في القرآن الكريم ومعانيها:

«فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت» سلوك العين هنا هو انها تنظر يمينا وشمالا نتيجة الخوف.

«وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها» تقليب الكفين كناية عن الندم والحسرة.

---

٥١ ـ ابن جني: الخصائص ١/٢٤٥.

٥٢ ـ السابق ص ٢٦٤.

٥٣ ـ د. فاطمة محجوب. دراسات في علم اللغة. دار النهضة العربية سنة ١٩٧٦ ص ١٠٠.

تليفون

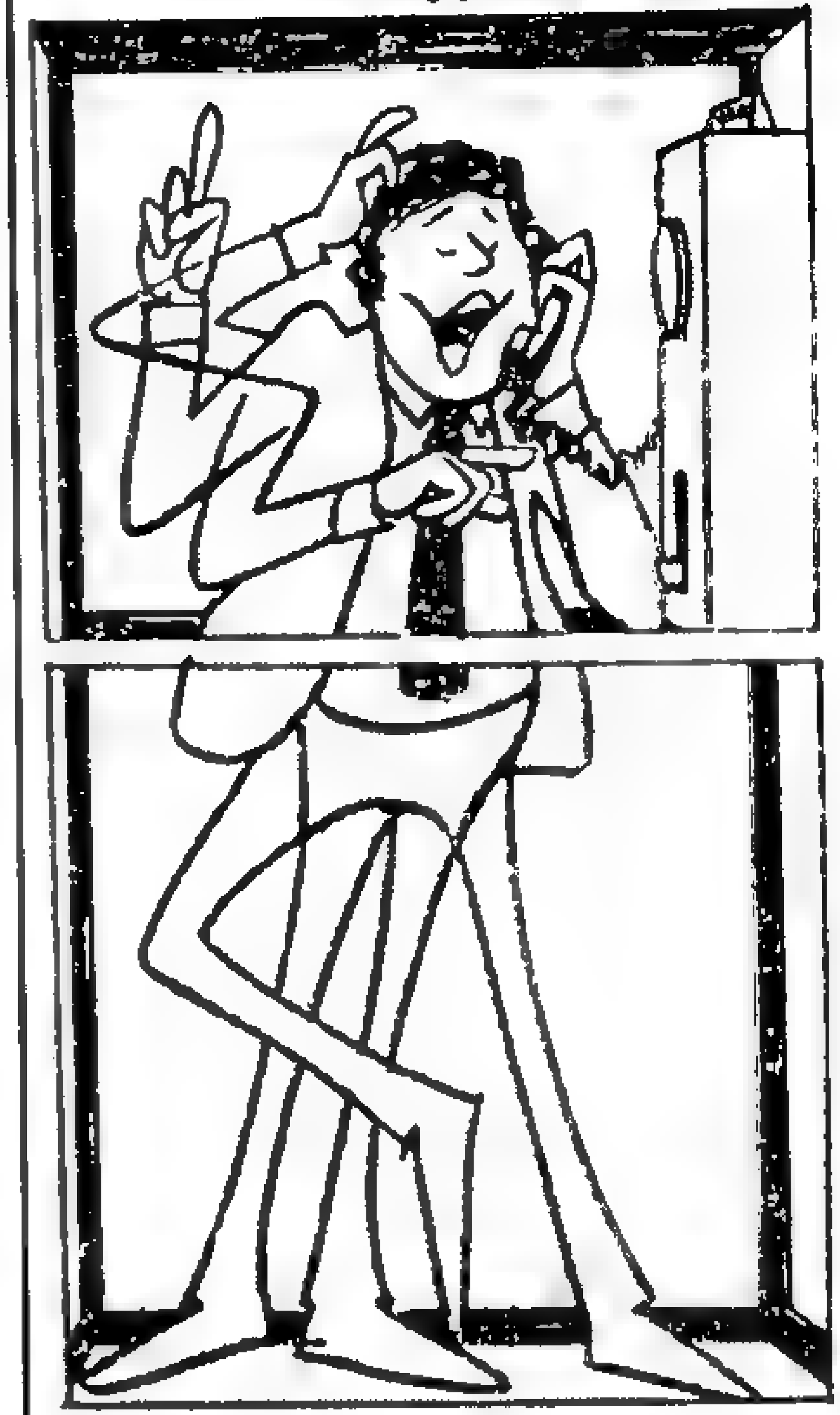

الحركة الجسمية .. حتى أثناء التحدث فى التليفون .

حركات شائعة بين الأطفال حين يغيظ بعضهم بعضاً

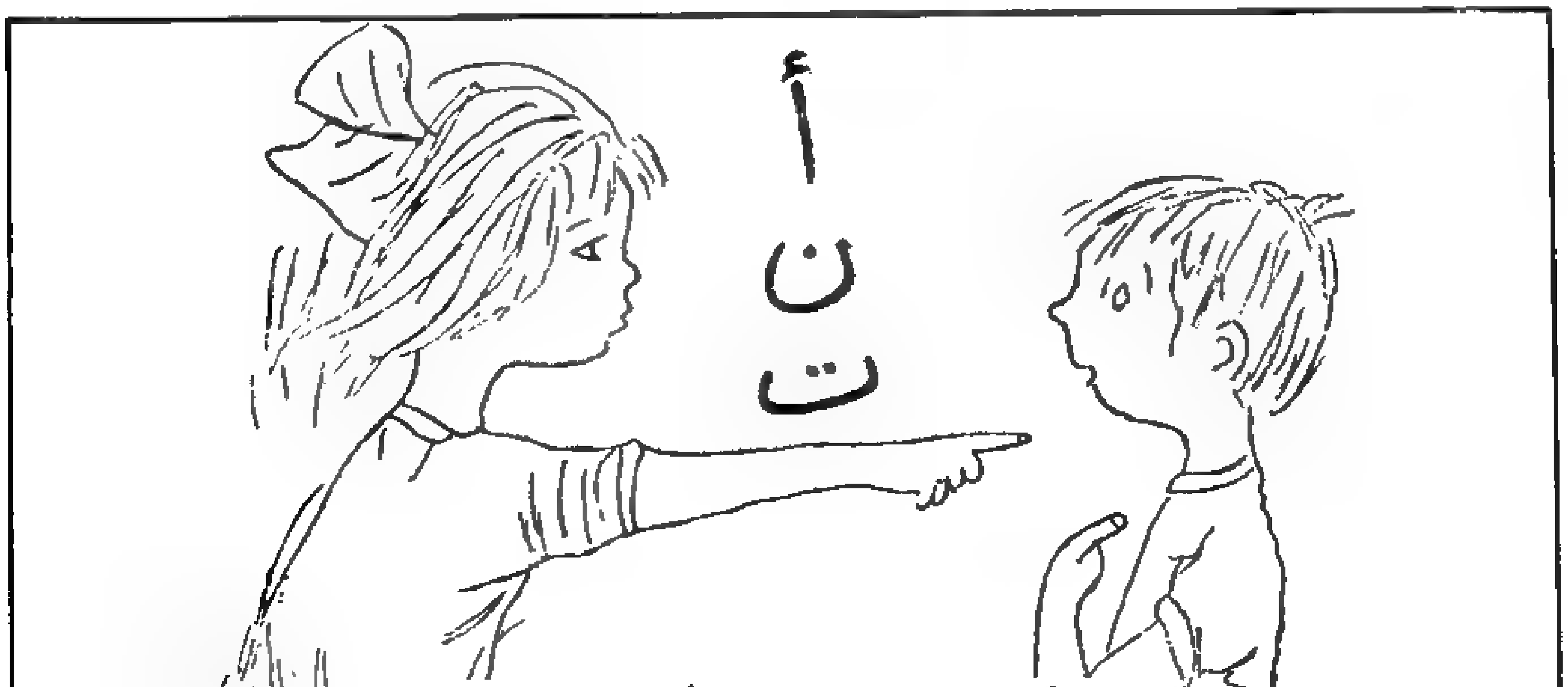

حركة جسمية تفيد الاتهام أو تحديد المسئولية.

«واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه» الإعراض وابعاد الجانب يدلان على التباعد والعصيان.

أما في العصر الحديث فنجد للحركة الجسمية اثرا كبيرا في التعبير، حتى اصبحت عادة يمارسها الانسان في حديثه على التلفون مثلا دون ان يراه الطرف الآخر. ويقدر د. راي بيردوسل Ray Birdwhistell ـ مدير ابحاث علم الاتصال في امريكا ـ ان نسبة الكلام في التعبير عن المعاني تتراوح ما بين ٣٠٪ ـ ٣٥٪. ويمكن للطالب ان يتصفح الجرائد اليومية ليحس المعاني التي تعبر عنها رسوم الكاريكاتير.

ومن طريف الابحاث فيما له علاقة بالحدث اللغوي كالحركات الجسمية ان تصدى عدد من الدارسين لتفسير وضبط حركة الناس اثناء سلوكهم اللغوي، فوجدوا ان الحركة تختلف من قوم الى قوم، فبينما نجد المصري ينهي الجملة الكلامية بان يبسط يده بعد ان كانت الأصابع مضمومة، او يوقفها بعد ان كانت تتحرك مع الكلمات التي ينطقها، نجد الامريكي ينهي جملته الكلامية بان يخفض رأسه او ينظر بعينيه الى اسفل او يسقط يده، بينما نراه يختتم الجملة الاستفهامية بان يرفع يده ويميل ذقنه او قد تتسع حدقتاه. اما الايطالي فيحدق في المارة وفي الناس الذين يجلسون في المطعم دون ان يكون لهذا عيب في ثقافتهم،[٥٤] وهذا يثبت اهمية الاشتراك الثقافي لجعل العنصر الاجتماعي فاعلا.

تدريبات :

١ ـ ارجع الى معجم لسان العرب ثم الى الكشاف للتهانوني وادرس لفظة ادب وما طرأ عليها من مفاهيم خلال العصور.

٢ ـ ارصد قائمة بعبارات وجمل تختلف معانيها باختلاف سياق الحال، على غرار جملة: ما شاء الله (للتعجب، والاستغراب، الاستهزاء، . . .)

٣ ـ الدلالة المعجمية لـ «رفع عقيرته» هي رفع رجله المقطوعة اما دلالتها الاجتماعية فهي: رفع صوته. ما الدلالات المعجمية والاجتماعية لكل مما يلي:

---

٥٤ ـ المصدر السابق ص ١٦١.

ـ يا ســـلام.
ـ بلّط البحر.
ـ بلغت القلوب الحناجر.

و ـ الخبرة والشخصية:

ذكرنا ان للألفاظ دلالات يفهمها ابناء اللغة الواحدة لمعايشتهم المواقف اللغوية، ولطول عهدهم بلغتهم. ومن المعروف ان الانسان يدرك المعنى الكلي للجملة الذي يتشكل من مفردات واصوات، وان هذه الجملة ترتبط بسياق او بموقف يزيد من تحديد دلالة الألفاظ. ومع هذه التحديدات والمعاني الكلية، الا ان بعض الألفاظ يثير في اذهان بعض الناس دلالات اخرى غير تلك التي يتفق عليها الناس، بل ان بعض الألفاظ تؤثر في السامع مرات ولا تؤثر فيه مرات اخرى، رغم الثقافة المشتركة، فما السبب؟.

لقد لفت اضطراب تأثير دلالات الألفاظ على الانسان ـ اهتمام العلماء من تخصصات مختلفة، فدرسوا النظام النفسي للانسان، والتركيب الاجتماعي، والجسمي و.. ولكنهم لم يتوصلوا الى قواعد ثابتة تمكنهم القطع بان انسانا ما يتأثر بالشتم مثلا بنفس الدرجة في المواقف المختلفة. فربما تجد هذا الانسان يتمعّر وجهه ويغضب لشتيمة متوسطة، ولكنه قد يتحمل الشتيمة الكبيرة، وهو نفسه في موقف آخر يغضب ويثور للشتيمة الكبيرة، ويصفح عن المتوسطة او الصغيرة.

ومع هذه الحيرة التي تلف الموضوع، الا ان العلماء ادلوا بما عندهم. فقد رأى علماء النفس الماديون ان الانسان مخلوق معقد التركيب، فوصفوه بأنه «جهاز شديد التعقيد، فيه الاعصاب بمثابة الاسلاك التي تكون شبكة معقدة اشبه ما تكون بجهاز ارسال واستقبال في الاذاعة، وقد شحنت جوانبه وانحاؤه بآلاف الاسلاك المتشابكة، وآلاف القطع والاجزاء التي لكل منها وظيفة معينة..» وقدم الدكتور ستيرنز العالم الامريكي احصائية جاء فيها «ان مجموع طول الأوعية الدموية الموجودة في الجسم يبلغ ١٦٠ ألف كم، وان في المخ البشري ١٢ مليون خلية، وفي الرئتين ٣٠٠ مليون خلية هوائية، ويستبدل الجسم عشرة ملايين كرة حمراء من الدم في كل ثانية»[٥٥]

٥٥ ـ د. ابراهيم انيس: دلالة الألفاظ ص ٥٧ ـ ٥٨.

ولهذا فان من الصعب تحديد المؤثرات على هذا الجهاز المعقد. ولكن هذا لا يمنع من ان نقرر حقيقة اولى هي ان التركيب الفسيولوجي المادي للانسان عامل مؤثر في تغير استجابة الانسان للغة.

والعامل الثاني: يتعلق بالتجربة الفردية الذاتية في تعلمه اللغة من حيث استعداده وبيئته والظروف المساعدة على او ضد تعلم اللغة.. ولتوضيح ذلك يمكن للقارىء تصور النمو اللغوي عند الطفل والصعوبات التي يواجهها، فبعض الأطفال يتجاوزون العقبات اللغوية بصعوبة تبطّيء تعلمهم اللغوي؛(٥٦) ومن هذه العقبات:

١ - ادراك معاني الألفاظ ذات الدلالة المتقابلة: فوق، تحت، يمين، شمال.. الخ.
٢ - ادراك معاني الألفاظ ذات الدلالة المتعددة مثل: كتاب بمعنى عقد القِران، وكتاب المدرسة.
٣ - ادراك العلاقة بين الألفاظ ذات الأصوات المتشابهة والمعاني المختلفة، مثل مؤنث ومثنى، الصورة والسورة، الجوز والزوج، الظرافة والزرافة.
٤ - ادراك معاني الالفاظ ذات الدلالة المتعددة حسب السياق فاليد عضو من أعضاء الجسم ولكنها قد تكون في السياق يد الباب، ويد السكين ويد الأبريق وهكذا.

ومثل هذه الصعوبات قد تظهر بأنماط اخرى تجعل تفاعل الفرد البالغ مع اللغة بطيئا. وبالتالي تكون استجابته متغيرة حسب قدرة ادراكه للمعنى.

والعامل الثالث: ان لكل فرد تجربة خاصة، ومن خلالها يصبح للألفاظ دلالات متميزة حسب تجربته؛ فالمطر لدى الفلاح يختلف في دلالته عن المطر لدى الموظف. ودلالة اللحم لدى الرجل النباتي (الذي لا يأكل اللحوم) غير دلالته لدى من به قرم للحم، مع ان الفلاح والموظف يعرفان المطر، والرجل النباتي والعادي يعرفان اللحم، والمعجم اللغوي يقدم لنا معنى يشترك الناس في فهمه.

---

٥٦ - المصدر السابق.

على ان للفظة الواحدة دلالة عامة وهي التي يشترك في معرفتها معظم الناس ويقدمها المعجم ايضا، ودلالة ثانوية تنبت من تجربة الفرد الذاتية فيلتفت الى ما في اللفظة من معان ويستخدم احداها. وتسمى الدلالة العامة المشتركة الدلالة المركزية، والدلالة الثانية تسمى الدلالة الهامشية. ويمكن تشبيههما بالدوائر التي تنبثق عن القاء حجر في ماء. فالدائرة الأولى هي التي يلتقي عليها الناس بينما الدوائر الفرعية الأخرى هي التي يولدها الموهوبون والأذكياء والأدباء..

ومن الملاحظ ان الدلالة المركزية تجمع بين الناس، بينما تفرقهم الدلالة، الهامشية، وتساعد الأولى على التفاهم بين افراد المجتمع وتنشر التعاون والمحبة بينهم بينما تقوم الثانية على خلق الشقاق والنزاع بين افراده، لأن بعض الناس لا يدركون ما يقصده المتكلم في دلالته الهامشية المقصودة، فيحدث سوء الفهم ويتولد عنه شقاق ونزاع او نقاش وجدال. . من ذلك ان بعض الناس يصفون الرجل الجاد الذي يؤدي واجبه بانه متزمت، اما الانسان الذي يتساهل في واجباته ويغطي على ذلك بكلام معسول فانه رجل عصري او متحضر. . ويسمون الانسان الذي يصف الواقع المرير ويحس به بانه متشائم. . وهكذا، مع ان اوصافهم هذه ليست صحيحة.

ومع ان الأصل في القانون الوضوح، ولكنك تجد المحامي حين يدافع عن موكله يفسر القانون بطريقة ذكية فيجعل الجناية جنحة، وينقذ موكله من العقوبة الشديدة، فالقتل العمد يعتبر جناية يعاقب عليها القانون بالقتل، ولكن المحامي القدير قد يجد في ملف القضية ما يثبت ان القتل العمد جاء بصورة من الصور تجعله جنحة بدلا من الجناية، وحينها تنزل عقوبته الى السجن.(٥٧)

واختلاف الدلالة بسبب الخبرة الشخصية تجد لها اثرا في تفسير القرآن وفي استنباط الأحكام الفقهية منه، ففي سورة النساء «واذا لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً». والفقهاء على خلاف في امر الصلاة بعد الملامسة أيجب الوضوء ام لا، وذلك لاختلافهم في تحديد الملامسة. . كما يختلفون في تفسير القرء(٥٨) في قوله تعالى «والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء» ويرتبون على هذا الخلاف احكاما شرعية تتعلق بعدة المطلقة.

٥٧ ـ د. ابراهيم انيس، دلالة الألفاظ ص ١٠٢ ـ ١٠٤.

وتجد في الأدب امثلة كثيرة توضح اثر الدلالة الهامشية والخبرة الشخصية بما كان يسميه النقاد الذوق العام والذوق الخاص. وتجد امثلة على ذلك في الموازنة، والعمدة والموشح واسرار البلاغة وكتب النقد. ومن أمثلة ذلك قول عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات ـ وكان زبيري الهوى ـ حين مدحه بقوله:

ان الأغر الذي أبوه الـ ـعاصي عليه الوقار والحُجُبُ
يعتدل التاج فوق مَفرقه على جبين كأنه الذهبُ

يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب ابن الزبير:

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
مُلكُه مُلْكُ عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

ومنها ان اسحق الموصلي انشد الأصمعي قوله في غضب المأمون عليه:

يا سرحة الماء قد سُدَّت موارده أما اليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام له مُحَلأً عن طريق الماء مطرود؟

فقال الأصمعي: احسنت في الشعر، غير ان هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي لعابتها.(٥٨)

ومن طرائف ما يروى في هذا الباب ان الخليفة المعتضد طلب من وزيره كتابة رد على رسالة خمارويه. وكان الخليفة قد تزوج بابنته قطر الندى، فكلف الوزيرُ كاتبا يقوم بهذه المهمة، وبعد أيام جاء بالرسالة وفيها: وأما عن الوديعة فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك الى شمالك..» وحين قرأها الوزير. قال: ما اقبح هذا تفاءلت لأمرأة زُفت الى صاحبها بالوديعة. والوديعة مستردة»(٥٩) فالكاتب رأى في الوديعة حسن الاهتمام، ورأى الوزير فيها قابلية الاسترداد بالموت او الطلاق...

ومن النكت النحوية التي تتعلق بهذا الباب قولهم اكلت حذاء اخي. ويتبادر الى الذهن المعنى المركزي وهو النعل، ولكن كلمة حذاء ليست النعل هنا وانما هي ظرف يعني بجانب، وعليه فكلنا يأكل حذاء أخيه او حذاء الآخرين.

٥٨ ـ انظر د. عبد العزيز عتيق. تاريخ النقد الأدبي عن العرب، دار النهضة العربية ط ٤ سنة ١٩٨٦ ص ٢١٩، ٣٠٧

٥٩ ـ د. ابراهيم انيس. دلالة الالفاظ ص ١١٩ ـ ١٢٠.

أما في الشعر الحديث، فان الدلالة الهامشية تلعب دورا كبيرا في توليد الصور التي تتناثر في ظاهر الأمر لتلتقي في بؤرة الشاعر النفسية، مما يجعل الدلالة الهامشية سبباً مهماً في غموض الشعر الحديث. ولا بأس ان ندرس جزءاً من قصيدة انشودة المطر للسياب لنرى الدلالات الهامشية فيها واثرها الايجابي والسلبي معا. يقول السياب:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء.. كالأقمار في نهر
يرجه المجذاف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريهما النجوم..»[٦٠]

فالعينان موصوفتان بعدد من الصفات لم يعبر عنها الشاعر تعبيرا مباشرا وانما جعل الصورة تحمل الوانا نفسية معينة وتقدم العينين؛ فهما مثل غابتين من نخيل، والسؤال هو: ما وجه الشبه؟ ربما يكون الجواب في الحجم، ولكن المعروف ان الغابة تتخذ الى جانب الحجم صورة سوداء، فالعينان سوداوان، ثم اتبع السواد بظرف «ساعة السحر» فما فائدة الظرف هنا؟. ان ساعة السحر تعمق لون السواد فتصبح العين عينا سوداء وهي العين العربية، ثم ان السحر معروف بهدوئه وهذا الهدوء يسحب ظلاله على هاتين العينين، وعليه فان هاتين العينين هادئتان هدوءاً يبدو فيه الحزن يظهر لنا في البيت الثاني إذ اضاف الى اللون والحجم صورة ابتعاد القمر.

وفي البيت الثالث يوضح صورة اخرى للعينين، فهما حين تبسمان تورق الكروم، والسؤال: ما علاقة الكروم بالعيون؟ ان ابتسام هذه العيون هو ابتسام للأشياء المحيطة؛ للأرض، للنبات، للانسان فتعم الفرحة، وتتراقص الأضواء كالأقمار على صفحة ماء النهر الذي يعبره زورق في ساعة الهدوء. ولكن ما العلاقة ما بين الصورة الأولى والصورة الثانية؟!.

ان هاتين العينين مجللتان بالحزن، ولكنهما ينضويان على أمل مغمور بالحزن،

٦٠ ـ ديوان بدر شاكر السياب ص ١٤٣.

كالنجم البعيد الذي يكاد يواريه البعد والظلام ولكنه ينبض ويتلألأ «كأنما تنبض في غوريها النجوم».

ولهذا فان هاتين العينين ليستا عيون فتاة فحسب بل هي فتاة عربية او ارض عربية تعيش واقعا مؤلما حزينا سببه الاستعمار وتنبض عن امل دفين سيظهر.. ويتحدث عنه الشاعر فيها تلا..

لاحظ دلالة كل لفظة في هذه الأبيات تجد انها تحتوي على دلالات غير المتعارف عليها، وان الشاعر استغل الدلالة الهامشية لكل صورة ولفظة ليرسم لنا واقعا عربيا عراقيا رسما ادبيا لطيفا.

الوحدة الثالثة

مظاهر تغير الدلالة

اللغة كالكائن الحي ينمو ويؤثر ويتأثر، وهي تنمو وتستعمل وتنتقل من جيل الى آخر لتعبر عن أفكارهم وحياتهم، وهي في انتقالها تؤثر وتتأثر، فتموت ألفاظ وتحيا أخرى، وتضيق الفاظ وتتسع أخرى بدلالاتها. . وهذه صفات للغات الحية ودليل على حيويتها، فاللغة لم تخلق لتوضع في بطون الكتب المقفلة ولا في خزائن العرض، وإنما للاستعمال، والاستعمال يعرضها للمظاهر التالية :ـ

١ ـ **تخصيص الدلالة** :[١]

توضع اللفظة للدلالة على شيء او فعل يتعارف الناس عليه، فحين نقول: «كتاب» تتولد في أذهاننا صورة معينة تأخذ شكل كتاب. ومع ذلك فهي ما زالت عامة اذ يمكن ان يكون الكتاب كتاب الولد او المدرسة او الكتاب المصور او ربما عقد الزواج او القرآن الكريم. . الخ. فاذا اردنا تحديد دلالة الكتاب او تخصيصها نقول كتاب الطالب، فان اردنا التخصيص اكثر قلنا: كتاب خالد للغة العربية. ويمكننا ادخال صفات واضافات تخصص دلالة الكتاب تخصيصا تاما.

وكما ان الكتاب قد تخصصت دلالته بهذه الطريقة، فانه يمكن تخصيص الألفاظ بطرق اخرى دونما اضافات. وذلك ان يتعارف الناس على دلالة معينة للفظة ومع مرور الزمن تصبح دلالة اللفظة واضحة محددة. فمثلا «العيش» تدل على الحياة واسبابها ولكنها في مصر تدل على الخبز الذي هو من اسباب الحياة. . وكلمة حريم كانت تدل على كل محرم، واصبحت تدل على النساء[٢]. . وجامع كانت تدل على صفة المسجد فيقولون المسجد الجامع وهي الآن تدل على المسجد نفسه. والصفات كريم، حسن، عزيز. . انتقلت لتدل على العلمية، وفاكهة كانت تدل على الثمار كلها ثم تخصصت الى ما هو معروف الآن.

والناس في تعاملهم اللغوي يميلون الى ـ بل يفضلون ـ الدلالات الخاصة لسهولة التعامل بها. ويعمدون احيانا الى الألفاظ ذات الدلالة العامة ويستعملونها

١ ـ قد ترد في بعض الكتب باسم تضييق الدلالة.
٢ ـ دلالة الألفاظ ص ٣٩.

استعمالا خاصا كما مر في الأمثلة السابقة وكما في كلمة العيال التي اصبحت تدل على الزوجة ولكنها اخذت تتجه حاليا لتتخصص في الدلالة على الأولاد انفسهم. مع انها اصلا تدل على كل ما يعال في الاسرة.

وفي اللغة الانجليزية كانت تدل كلمة Meat على الطعام عموما، ولكنها تدل الآن على اللحم.[٣]

٢ - **تعميم الدلالة:**[٤]

وكما ان بعض الألفاظ يتخصص بدلالات معينة، فان بعضها **الأقل** تتسع دلالته. واكثر مظاهره في لغة الأطفال، منهم لقلة ثروتهم اللغوية يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه لأدنى مشابهة، فقد يطلقون اسم حمار على الحصان او البغل او البقرة..

وهناك بعض الألفاظ تستعمل بعموميتها لتنقل ما في مجموعها من معان ودلالات الى السامع فكلمة البأس التي كانت تدل على القوة والحرب والشجاعة تطلق الآن على كل شدة بما في ذلك المرض. والسمك كثير الأنواع ولكننا لا نحفظ من انواعه الا القليل، ولهذا نسمي كل الاجناس سمكا. والورد، والعطر والسيارة امثلة اخرى على اطلاق الألفاظ بدلالة عامة.

وكما ان بعض الصفات تخصصت في المظهر الأول من مظاهر تطور الدلالة، نجد ان بعض الاعلام قد عمت دلالتها وتوسعت لتدل على الصفة بعامة، ومنها الاسماء المقترنة بشهرة مثل حاتم فنقول جاء حاتم ونقصد الكريم، ونيرون الذي خرب روما اصبح يستعمل للدلالة على الجنون والظلم.. وعرقوب للدلالة على المراوغ قليل الوفاء..[٥]

---

٣ - بلومفيلد، اللغة ص ٤٣٠ نقلا عن د. احمد عبد الرحمن عباد. عوامل التطور اللغوي ص ١٢٦.
٤ - قد ترد في بعض الكتب باسم توسيع الدلالة.
٥ - د. ابراهيم انيس دلالة الألفاظ ص ١٥١ وما بعدها.

٣ - انحطاط الدلالة:(٦)

تفقد بعض الألفاظ شيئا من رونقها وهيبتها في ذهن الناس، لكثرة دورانها وشيوعها ولأسباب سياسية واجتماعية ونفسية.

فعلى مستوى العامل السياسي، فقدت بعض الألقاب السياسية كثيرا من هيبتها بعد الغاء الرتب والألقاب في مصر وغيرها، فأصبحت الألقاب: باش، بك، افندي، سيد ذات قدر ضئيل بعد ان كانت مرموقة.. وهذا ما تتعرض له القاب اخرى مثل عطوفة، سماحة، نيافة، سعادة.. الخ من ابتذال وتدنٍ في دلالتها بعد ان كانت تدل على التزام الاحترام. ومن الألقاب التاريخية التي اصابها الابتذال كلمة حاجب التي كانت تدل على مقام رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية، ولكنها تدل الآن على البواب.

اما على مستوى العامل النفسي العاطفي فهو اوضحها تأثيرا؛ فكثيرا ما تتغير الألفاظ المرتبطة بالغريزة الجنسية او المقابح والعورات او القذارة، وتحل محلها الفاظ عامة غامضة. فقد كنى القرآن عن العلاقة الجنسية بالفاظ كريمة منها:

الحرث في قوله تعالى: «نساؤكم حرث لكم» (٢٢٣/ البقرة).

الدخول في قوله تعالى: «من نسائكم اللاتي دخلتم بهن»، (٢٣/ النساء).

الملامسة في قوله تعالى: «او لامستم النساء»، (٦/ المائدة).

الرفث في قوله تعالى: «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم»، (١٨٧/البقرة).

المباشرة في قوله تعالى: «فالآن باشرون.. ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد»، (١٨٧/ البقرة).

الافضاء في قوله تعالى: «وقد افضى بعضكم الى بعض»، (٢١/ النساء).

النكاح في قوله تعالى: «فانكحوهن باذن اهلهن»، (٢٥/ النساء).

ولفظه النكاح الاخيرة تأخذ في اذهان العامة معنى يثير الحرج مع انها

---

٦ - قد ترد في بعض الكتب باسم الابتذال او التغير الانحطاطي او الخافض.

استخدمت في القرآن (مع مشتقاتها) ثلاثا وعشرين مرة بمعنى الزواج غالبا. ففي احدى صفوف السنة الأولى اثناء اعراب آية «الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح» احست الطالبات بحرج حتى تبين ان معناها الزواج. وما هذا الحرج الا لأن اللفظة مرتبطة ـ حاليا ـ بمدلول مبتذل، ويتضخم هذا الابتذال مع قياس اللفظة على لفظة عامية، فاصبحت لفظة النكاح محرجة بينما تحتل لفظة الزواج دلالة غير محرجة.

ومما يتصل بالحرج ما تثيره دلالات اسماء الاعضاء الجنسية؛ مما يجعلها في معظم اللغات تتخذ عددا من المسميات والكنايات لتحل محل الاسماء الصريحة المبتذلة. ومن طرائف هذا الموضوع ان احد الأمريكان المسلمين اعد بحثا عن كتابات السيوطي صاحب التفسير، وكان من بين كتبه ما يحمل عنوانا باسم عورة المرأة، والامريكي يقرأ العنوان وترجمته، وكان مقدم البرنامج استاذا عربيا فأشار اليه كي يكني عن العورة فراح الأمريكي يعيد الاسم مرة ثانية والعربي بكل الحرج يذكر الامريكي ان يكني وذلك يصرح مما أثار الضحك بين الجالسين. وقد تخلّصت كتب النحو في باب الأسماء الستة من الاسم السادس وهو «الهن» وهو ما استقبح ذكره لدلالته على عورة الرجل او المرأة ولعدم استعماله للسبب ذاته.

ومن الأمثلة الأخرى على ابتذال الألفاظ التي تدل على القذارة وتبدل مسمياتها، ما يتعلق بالتبول والتبرز ومكانها. فان الذوق الاجتماعي يمج هذه الألفاظ ويعبر عنها بكلمات غامضة، فاذا ما اتضحت حلت محلها لفظة اخرى ولو كانت اجنبية، ومن ذلك كلمة الكنيف (مكان الغائط والبول) التي تبدلت مسمياتها كما يلي: الخلاء، الششمة (فارسية)، الكرسي، المستراح، بيت الراحة، بيت الأدب، المرحاض، الضبل يو سي (W.C)، دورة المياه، التواليت، الحمام..

ومن الذوق الاجتماعي تسمية الاشياء باسماء مضادة كالسليم للملدوغ، والمعافى للمريض، والهلاك (وهو الذهاب) للموت. ولعل كلمة الأعور بدأت تبتذل في عصرنا لتصبح شتيمة مع انها وضعت للدلالة على قوة البصر..

ومن اشهر الألفاظ التي كانت تدل على معنى سام ثم انحدرت لتدل على صفة رذيلة هي كلمة طول في طول اليد؛ اذ كانت تدل على السخاء والكرم، وبها وصف النبي ﷺ زوجه عائشة حين سأله بعض ازواجه: «أينّا اسرع لحاقاً بك يا رسول الله؟

فقال عليه السلام: اطولكن يداً. ومثلها نؤوم الضحى التي كانت تدل على العزة والرفاهة، بينما تدل في المجتمع العصري والصناعي على الكسل والخمول.

٤ - رقـي الدلالة:[٧]

وكما يصيب الألفاظ انحطاط فانه يصيبها رقي في الدلالة ايضا، ولكنه اقل حدوثا وشيوعا من الانحطاط. فالبيت كانت تدل على بيت الشعر وهي الآن تدل على البيت المستقل الجميل (الفيلا).

ومثل ذلك كلمة رسول التي كانت تدل على اي شخص يحمل رسالة او اي شخص موفد من قبل الحاكم، ثم اخذت تتخصص وترتقي لتـدل على الـرسول صاحب الرسالة السماوية. ومنه الجمال مأخوذة من اجتمل الرجل اذا اذاب الشحم وأكله، ويقال رجل جميل اذا جرى ماء السمن في وجهه.

وكلمة السفرة، كانت تعني طعام المسافر، وهي تعني الآن الطعام الفـاخر الذي يعرض على طاولة فخمة.

٥ - تغير مجال الاستعمال:[٨]

ذكرنا سابقا ان بعض الألفاظ تتخصص دلالتها بعد عموم، وبعضها تتوسع دلالتها بعد تخصص، وبعضها تنحط دلالتها بعد سمو ورقي، وبعضها ترتقي بعد ان كانت وضيعة. وهنا نعرض لألفاظ تخرج دلالتها عن المألوف والواقع الى شيء مجازي. فاليد جزء من الانسان ولكننا نقول يد الباب ويد الابريق، والرجل جزء من الانسان ولكننا نقول رجل الطاولة ورجل الكرسي.. والعين.. عين الإبرة وعين الماء وعين القبيلة.. الخ.

وينصرف الناس الى هذا النمط من الاستعمال لتوضيح الصورة او الدلالة. وكثيرا ما يعمد الأدباء والموهوبون الى ايجاد صور مجازية توضح افكارهم وتجذب انباه السامعين جذبا جميلا.. انظر الى تصوير ابي ذؤيب الهذلي للمنية اذ يقول:

---

٧ - قد ترد في بعض الكتب باستعمال تحسين الدلالة او التغير المتسامي.

٨ - قد ترد في بعض الكتب باستعمال انتقال معنى الدلالة.

واذا المنيــة انـشبـت اظـفــارهـــا   الـفـيـت كــل تمـيـمــة لا تـنــفــع

فهي حيوان كاسر لا ينفع معه أي سلاح . .

ومحمود درويش يخاطب وطنه بهذه الصورة المركبة تركيباً بعيداً قد يحتاج الى جهد تحليلي لرسم الصورة، يقول:

وطني، ايها النسر الذي يغمد منقار اللهب
في عيوني
اين تاريخ العرب . .
كل ما املكه في حضرة الموت:
جبين وغضب
وأنا اوصيت ان يزرع قلبي شجرة
وجبيني منزلا للقبره.(٩)

فهذا الوطن نسر، وهذا النسر له منقار ولكنه منقار من لهب، وهو كالسيف يغمد ولكن في عيون العربي، لأنه يطيل النظر في التاريخ تاريخ العرب وينسى الواقع واقع العرب . .

وجانب آخر من تغير مجال الاستعمال بالاضافة الى المجاز هو توليد المعـاني للمشابهة، فالبرطيل يدل لغة على حجر طويل عظيم وهو الآن مرادف للرشـوة. والرطانة كانت تدل على الابـل وحركتهـا واصواتهـا وهي الآن تدل عـلى الكلام الأعجمي او غير المفهوم. والقلق مأخوذ من الحركة والاضطراب وهو الآن مصطلح نفسي يدل على حالة من عدم الاستواء . .

والشنب هو بريق الاسنان وهو الآن الشارب . . وعكس الترادف الاضداد، فبعض الألفاظ يدل على معنيين متعاكسين مثل «جون»: ابيض واسود، بان: فارق وظهر، طرب: فرح وحزن . . الخ .

تلك هي مظاهر تغير الدلالة وعواملها، ولكننا ـ مع الأسف ـ ما زلنا بحاجة

---

٩ ـ محمود درويش. اخر الليل، دار العودة بيروت ط ١١ سنة ١٩٨٢.

الى دراسة اخرى تحتاج الى جهود متضافرة لتحديد تاريخ تطور الألفاظ، وعلى كل حال فان تغير دلالة الألفاظ يثري اللفظة الواحدة ويبقيها حية على مر العصور ويجعلها كالنجم النابض او المنشور المتلألىء تظهر ابعاده حسب الرائي وعمق رؤيته. ومن جهة اخرى، فان الألفاظ ودلالاتها تعطي زخما للنصوص الأدبية وتجعل معانيها لا تخلق على كثرة الدراسة والنظر، فتبقى النصوص خالدة على خلود اللغة.

تدريبـــات:

١ - مظاهر تغير الدلالة برهان على تطور اللغة ونموها. ناقش هذه المقولة.

٢ - وضح التوسع في المعاني وانتقالها في الألفاظ التالية: (استعن بمعجمين حديث وقديم):

الهاتف:

السيارة:

الطالب:

العيال:

المحرك:

المناخ:

٣ - تحت اي مظهر من مظاهر تغير الدلالة يمكن تصنيف الألفاظ التالية:

أ - الحائط (قديما البستان وحديثا الجدار).

ب - السفير (حامل الأجرة من الطين ومندوب الدولة في الخارج).

جـ - الفشل (الضعف و الاخفاق).

د - المجد (امتلاء بطن الدابة من العلف و الجاه).

هـ - الحقد (حقد المطر: احتبس، والناقة امتلأت شحماً والحقد البغض الشديد).

و - الصعلوك (واحد من فئة خرجت على قيم القبيلة وثار عليها لأسبابٍ متعددة. شتيمة).

٤ - ادرس تطور لفظة نقد، وقنابل، واستاذ من خلال المعاجم والنصوص الأدبية.

٥ - وضح الدلالة المركزية والهامشية في النص التالي مبينا اهمية الدلالة الهامشية في تعميق المعنى.

(نص لفدوى طوقان او اي شاعر حديث)

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدور
بين الردم والشوك
وقفت وقلت للعينين: يا عينين
قفا نبك
على اطلال من رحلوا وفاتوها
تنادي من بناها الدار

وكان هناك جمع البوم والاشباح
غريب الوجه واليد واللسان وكان
يحوّم في حواشيها
يمدّ أصوله فيها
وكان الآمر الناهي
وكان.. وكان
وغص القلب بالأحزان

الوحدة الرابعة

تغير دلالات الألفاظ في اللغة العربية عبر العصور

ان من يستعرض ادب الأمم يجد كثيرا من الفاظها قد تغيرت دلالتها مع مرور الزمن. كما تتغير صور التعبير لتتناسب مع العصر والبيئة. وقد ضربنا امثلة على تطور الألفاظ ومظاهر ذلك التطور، وألمحنا الى اثر البيئة في تكوين الصور التعبيرية، ونشير هنا الى حكاية الشاعر الذي وصف الخليفة بالكلب وفاء وبالتيس في قراع الخطوب مما أثار غضب الحاشية لهذا الوصف، فطلب منهم الخليفة التمهل حتى يعيش الحياة الجديدة التي لا بد ان تعكس اثرها عليه وفعلا تم ذلك.

ونستعرض هنا مثلا مقارنا في وصف المرأة، ويمكن للطالب الرجوع الى مقدمات القصيدة العربية ليرى تطور المقدمة فنا ومعنى. ففي قصيدة سويد بن ابي كاهل اليشكري(١) وصف لمحبوبته رابعة، اذ يقول:

بَسَطتْ رابعَةُ الحبْلَ لَنا ... فَوصلْنَا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ(٢)
حُرَّةٌ تجْلُو شتيتاً واضحاً ... كُشعَاعِ الشمسِ في الغيْمِ سَطَعْ(٣)
صقلَتْهُ بقضيبٍ ناضِرٍ ... مِنْ أراكٍ طَيِّبٍ حتى نَصَعْ(٤)
أبْيضَ اللوْنِ لذيذاً طَعمُهُ ... طيِّبَ الرِّيق إذا الريقُ خَدَعْ(٥)
تمنحُ المرآة وجهاً واضحاً ... مثلَ قرْنِ الشمسِ في الصَّحو ارتفع
صافي اللونِ، وطرفاً ساجياً ... أكحَلَ العينينِ ما فيه قمعْ(٦)
وقُروناً سابغاً اطرافُها ... غَلَّلتها ريحُ مسكٍ ذِي فنعْ(٧)

---

١ ـ المفضليات ص ١٩١.

٢ ـ رابعة: صاحبته يتغزل فيها. الحبل: يريد به الوصل. ما اتسع: ما امتد. اي بذلنا لها وصلنا ووصلناها بوصلها..

٢ ـ الشتيت: المتفرق، اراد اسنانها المفلجة. الواضح: الأبيض.

٤ ـ الصقل: الجلاء. ناضر: ناعم اخضر ريان. الاراك: شجر يتخذ منه السواك المعروف، وهو اجود سواك. نصع: خلص لونه.

٥ ـ خدع ريقه: اذا تغير وفسد.

٦ ـ الساجي: الساكن. القمع: كمد في لحم المؤق وورم فيه.

٧ ـ القرون: الذوائب. السابغ: الطويل التام. غللتها: دخلت فيها، و الفنع: الكثرة والفضل، والمراد هنا طيب ريحه وسطوعها.

ويقول عمر بن ابي ربيعة:

ليت هندا انجزتنا ما تعد ... وشفت انفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد
وقالت لجارات لها ... وتعرت ذات يوم تبترد[٨]
أكما ينعتني تبصرنني ... عَمْرُكنّ الله ام لا يقتصد[٩]
فتضاحكن وقد قلن لها ... حسن في كل عين من تود
حسداً حُمّلْنَه من أجلها ... وقديما كان في الناس الحسد
غادة تفترّ عن اشنبها ... حين تجلوه اقاح او برد[١٠]
ولها عينان في طرفيهما ... حور منها، وفي الجيد غيد[١١]

ولدى دراسة الصور في النصين ـ مع ان الفارق الزمني بين الشاعرين بسيط ـ نجد ان صور سويد بدوية والفاظها اجزل وجرسها اشد، واثر البيئة بعناصرها واشخاصها واضح، بينما جاءت ابيات عمر واضحة المعاني تضج بالحركة والحياة، ودلال هند فيها يعكس اثر البيئة المتفتحة والجمال الانثوي البارز، مقابل صورة رابعة الثابتة كالتمثال الجميل.

ولو بحثنا في دلالة بعض الألفاظ الواردة في النصين وقارناهما بدلالتها العصرية لوجدنا بعض الألفاظ لا يستعمل في لغتنا المكتوبة. وبعضها اخذ معاني اخرى قد يكون بينها وبين المعاني الأصيلة صلة من قريب او بعيد. فالشتيت والشنب بمعنى الاسنان وخدع بمعنى فسد وقمع بمعنى الورم في بؤبؤ العين والفنع بمعنى الكثرة غير مستعمل حاليا. واما (القرن) فقد اختلفت دلالتها في ذات النص؛ فقرن الشمس غير القرن السابغ، وخدع غير معنى خدع التي نعرفها.

وهذان النصان في الغزل، والفاظ الغزل اسهل، ولهذا تنتقل من جيل الى جيل بيسر، ولكن معاني الهجاء والفخر والفاظها اقوى واغرب، وهي لذلك اقل سيرورة وانتقالا. ومثال ذلك قصيدة للجميح الأسدي (جاهلي)، مثلا، يهجو وينذر

٨ ـ تبترد: تستحم.
٩ ـ لا يقتصد: يفرط في وصفها.
١٠ ـ غادة: ناعمة، تفتر: تبتسم، اشنب: اسنان، الاقاحي؛ زهر ابيض جميل، برد: قطع الثلج.
١١ ـ في الجيد غيد: في عنقها نعومة.

بني غطفان لا نجد فيها سوى الفاظ معدودة ما زالت دلالتها كما هي عليه الآن، يقول فيها:

لا تسقني ان لم ازر سحرا ... غطفان موكبَ جحفلٍ دُهم
لجب اذا ابتدوا قنابله ... كنشاص يوم المِزرم السجم
مجر يغَصّ به الفضاء له ... سلف يمور عجاجه فخم[١٢]

ويمكن للطالب تذكر قصيدة الشنفرى اللامية او اي قصيدة جاهلية ليتحقق بنفسه من ان كثيرا من الألفاظ القديمة قد تغيرت دلالتها او انتقلت الى استعمال جديد او بليت فلم تعد تستعمل ابدا.

وقد تنبه الزمخشري الى هذا التغير في دلالة الألفاظ، فجعل كتابه «اساس البلاغة» يبحث في هذا الشأن. ومن امثلته ان الكتابة والخلق والهجاء لم تكن اصلا تدل على ما هو عليه الاستعمال في العصر الاسلامي وما بعده، بل كانت تدل الكتابة على الضم والجمع في مثل قولهم: كتب السقاء (القِربة) اي خرزة بسيرين (خاطه بخيطين)، والكتابة المعروفة لدينا هي على سبيل المجاز، وهي تشترك مع المعنى الأصلي بضم الحروف وجمعها في كلمات. والخلق كانت تدل على التقدير؛ كقولهم: خلق الخياط الثوب، بمعنى قدره قبل القطع، واصبح من المجاز: خلق الله الخلق. وهجا الحروف يهجوها عددها ثم انتقلت عن طريق المجاز الى ذكر المعايب.[١٣]

ويؤكد جرجي زيدان هذه المقولة بارجاع بعض الألفاظ العربية الى اصولها الساميّة ليجد ان بعضها تغيرت دلالته عما كان عليه الاستعمال في العصر الجاهلي، ويخلص بالتالي الى ان اللغة كائن حي ينمو ويتطور بتلقائية وعفوية لاسباب متعددة، ومن هذه الألفاظ «الشتاء» وهي التي تدل على الفصل المعروف، ولكن اللغويين لم يستطيعوا الوصول الى أصل هذا المعنى، فأورد صاحب القاموس عن المبرد قوله: «ان الشتاء جمع شتوة وهي الغبراء التي تهب فيها الرياح والأرض يابسة فيهيج الغبار» وفي هذا تكلف.. على ان مادة شتا في اصل دلالتها السامية تدل على الشرب او الري

---

١٢ ـ انظر المفضليات ص ١٠٩.
١٣ ـ انظر الزمخشري، اساس البلاغة، مادة كتب، خلق، هجا، وانظر د. ابراهيم انيس، دلالة الألفاظ ص ١٣٢.

او الصب، وهي كذلك في العبرية والسريانية الى اليوم. . فلما تفرقت القبائل تولدت المشتقات وتنوعت معانيها، فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية، واهمل معنى الشرب والري منها.

وتدل لفظة «عبد» في اللغات السامية على العمل وخاصة الحرث في الحقل، ولم يبق من مشتقاتها في العربية ما يدل على العمل الا «المعبدة» بمعنى المحراث، وما عدا ذلك، فانها ومشتقاتها تدل على العبادة والعبودية. . ولفظة «شعر» ترجعها المعاجم العربية الى الشعور والفطنة «وسمي الشاعر شاعرا لفطنته وشعوره» وفي هذا التعليل تسامح وسعة، والأظهر، كما يقول جرجي زيدان، ان الشعر مشتق من اصل آخر فيه معنى الغناء او الانشاد او الترتيل وقد سقط من العربية وبقي في بعض اخواتها؛ ففي العبرية «شير» تعني قصيدة او انشودة كالاناشيد التي كانوا يرتلونها في اسفارهم وحروبهم، وبما ان اليهود اقدم اشتغالا بالنظم من العرب «فالظاهر ان العرب اخذوا عنهم كلمة «شير» وابدلوا ياءها عينا كما هي العادة في كثير من الألفاظ فاصبحت شعراً. ولعل لفظة سورة ترجع الى اصل اللغات السامية لأن شور العبرية هي الفعل من شير وعليه فان لفظة «سورة» تعني «الانشودة» او الترتيلة من قبيل التجويد»[١٤].

مما مضى يتبين تغير دلالة الألفاظ من العصور الأولى الى العصر الجاهلي. وفي العصر الاسلامي الأول تغيرت دلالات كثير من الألفاظ الجاهلية ايضا؛ مثل المصطلحات الشرعية والفقهية: فلفظة «مؤمن» كانت تدل على الأمان او الايمان وهو التصديق، فاصبحت بعد الاسلام تدل على المؤمن وهو غير الكافر وله شروط معينة لم تكن معروفة. وكذلك المسلم والكافر والفاسق ومثلها لفظ الصلاة. . والركوع والسجود والحج. . ومن الألفاظ الأخرى التي تغيرت دلالتها المصطلحات اللغوية، كالنحو، والعروض، والشعر، والاعراب، والحقيقة، والمجاز، والبيان، . . ومنها ايضا المصطلحات الإدارية والحربية ثم في عصور تالية المصطلحات الطبية والفلسفية. . الخ.[١٥]

١٤ - انظر جرجي زيدان، اللغة العربية ص ٥٢ - ٥٤ وفيه امثلة اخرى.
١٥ - جرجي زيدان، اللغة العربية ص ٤٩ وما بعدها.

وقد ابطل الاسلام وأمات بعض الألفاظ التي ترتبط بعادات وعقائد جاهلية مثل المرباع (ربع الغنيمة للرئيس في الجاهلية) والنشيطة (وهي ما يصيبه الرئيس دون بقية الناس او ما يغنمه الغزاة وهم في الطريق الى الغزو) وقولهم «انعم صباحا» و «انعم ظلاما» و «ابيت اللعن». . ووسع ونقل معاني الفاظ اخرى مثل التوقيع الذي كان معناه في الجاهلية التأثير ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على رقاع مرفوعة الى الخليفة. . ثم تحولت حديثا الى الامضاء ومثل ذلك الوظيفة، والخراج والخليفة والحكومة والأدب. . الخ»(١٦)

ومن طريف ما يدل على تغير الألفاظ ودلالتها القصتان التاليتان:

يروى عن ابي زيد الانصاري انه قال: «بينما انا في المسجد الحرام، اذ وقف علينا اعرابي، فقال: يا مسلمون ـ بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ـ اني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي، المواصي اسياف تهامة، عكفت علينا سنون محش. فاجتبت الذرى، وهشمت العرى، وجمشت النجم، واعجبت البهم، وهمت الشحم، والتحبت اللحم، واحجنت العظم، وغادرت التراب مورا، والماء غورا، والناس اوزاعا، والنبط قعاعا، والضهيل جراعا، والمقام جعجاعا، يصبحنا الهاوي، ويطرقنا العاوي، فخرجت لا اتلفع بوصيده، ولا اتقوت بمهيده، فالبخصات وقعه، والركبات زلعه، والاطراف فقعه، والجسم مسلهم، والنظر مدرهم، اعشوا فاغطش، واضحى فاخفش، اسهل ظالعا، واحزن راكعا، فهل من آمر بمير، اوداع بخير، وقاكم الله سطوة القادر، وملكة الكاهر، وسوء الموارد، وفضوح المصادر. . قال ابو زيد فاعطيته دينارا وكتبت كلامه واستفسرت منه ما لم اعرفه» وابو زيد الانصاري من فطاحل ائمة اللغة.(١٧)

ومما يروى ان اعرابية ممن لم تفسد لغة قومها بالاختلاط، يقال لها «ام الهيثم» نزلت العراق، وعلماؤه يومئذ مشمرون في اثبات اللغة وضبطها، والتنازع محتدم بين الكوفيين والبصريين.

فقال جماعة من العلماء: لنذهب الى هذه الاعرابية، ونسأل عما شجر بيننا

١٦ ـ المرجع السابق.
١٧ ـ المرجع السابق ص ٦٧.

فذهبوا اليها، فقيل انها عليلة. فلما دخلوا عليها قال لها ابو عبيدة:

«عم كانت علتك؟» فقالت: «كنت وحمى للذكة، فشهدت مأدبة، فأكلت جبجبة من صفيف هلعة، فاعترتني زلخة» فقال لها: «يا ام الهيثم، اي شيء تقولين؟». فقالت: «او للناس كلامان؟ ما كلمتكم الا الكلام العربي الفصيح»(١٨) وأمثال هذه كثيرة في اخبار العرب.

الا ان رصد تغير دلالات الألفاظ عبر العصور ما زال محدودا مضطربا؛ لأن علماء اللغة العرب حين جمعوا الألفاظ اثبتوا استعمالاتها عند القبائل المختلفة واعتبروها وحدة واحدة مع انها مختلفة، فتجمع لديهم الفاظ كثيرة تدل على شيء واحد (اذ جمع الفيروز ابادي من المسميات ماله الف اسم في كتابه «الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف») وعلى عكس ذلك وجدوا ان اللفظة الواحدة تدل على معان كثيرة، وما ذاك الا بسبب التراكمات التي وصلت الى اللغويين عبر العصور والبيئات والقبائل المختلفة.(١٩)

ويستعرض د. ابراهيم انيس طائفة من الألفاظ الشائعة التي تطورت دلالتها تطورا بينا، من اصل قديم ودخلت العامية،(٢٠) منها:

١ - بايخ التي انحدرت من فعل عربي فصيح، اقتصر استخدامه على النار والغضب، فيقال: باخ الرجل اي سكن غضبه، وباخت النار: سكنت وفترت.
٢ - البغددة استعمال قديم، يقال تبغدد الرجل اي انتسب الى بغداد واهلها، اي اصبح متحضرا راقيا في سلوكه.
٣ - حرامي نسبة الى الحرام، وقد وجدت طريقها للاستعمال بمعنى اللص في كتابات القرن السابع الهجري.
٤ - الحصان: في الاستعمال القديم وصف للفرس، وفرس حصان: يمنع صاحبه من الهلاك، ثم اصبحت تدل على الفرس نفسه.

---

١٨ - المرجع السابق ص ٦٨.
١٩ - يذكر جرجي زيدان ان للعجوز ٦٠ معنى انظر اللغة العربية ص ٥٨ - ٦٠.
٢٠ - دلالة الألفاظ ص ١٢٤ - ١٢٧.

٥ ـ الشنب: في الاستعمال القديم تدل على الاسنان ونصاعتها. وهي تدل الآن على الشارب.

ويرى د. ابراهيم انيس ان التطور الدلالي حصل نتيجة اسباب يردها الى عاملين اساسيين لكل منها عناصره ومقوماته.[٢١] وهما:

١ ـ الاستعمـــال:

فالألفاظ تستخدم عبر الأجيال، ونتيجة استخدامها، يغرم اناس بمعاني الألفاظ الهامشية، ويبقى معظم الناس يشتركون في استعمالها على معناها المركزي. ويرث الجيل التالي ما شاع من دلالات هامشية ومركزية، ومع توالي الأيام يتضخم الانحراف وتصبح الدلالة الهامشية شائعة، ويبدو للجيل الوارث ان للكلمة معنيين او دلالتين مع ان الرابط بينهما ضعيف. ومثال ذلك كلمة الغروب في الأبيات التالية للخليل بن احمد:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى ... إذ رحل الجيران عند الغروب
اتبعتهم طرفي وقد ازمعوا ... ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة ... تفتر عن مثل اقاحي الغروب[٢٢]

فالغروب الأولى هي غروب الشمس، والثانية جمع غرب وهي الدلو العظيمة، والثالثة هي جمع غرب وهي الوهاد العظيمة.

وقد فاق المعلم بطرس كرامه (ت ١٨٥١) كل تصور اذ اتى بقصيدة تصل الى ثلاثين بيتا تقريبا منتهية بكلمة الخال بمعان مختلفة، ولهذا سميت القصيدة الخالية، ومنها:

امن خدها الوردي افتنك الخال ... فسحّ من الأجفان مدمعك الخال
وأومض برق من محيا جمالها ... لعينيك ام من ثغرها اومض الخال
رعى الله ذياك القوام وان يكن ... تلاعب في اعطافه التيه والخال
مهاة بأمي افتديها ووالدي ... وان لام عمي الطيب الأصل والخال[٢٣]

٢١ ـ المرجع السابق ص ١٣٤ ـ ١٥١.
٢٢ ـ انظر د. ابراهيم انيس، دلالة الألفاظ ص ١٣٥.
٢٣ ـ نقلا عن عوامل التطور اللغوي، ص ٧٣.

ومعاني الخال بالترتيب هي:

الشامة والسحاب الممطر، البرق، الاختيال والتكبر، الخالي والخلي، اخو الأم الخال. ويفسر د. انيس ظاهرة الطفرة الدلالية هذه بسوء فهم المعنى اصلا: اذ قد يكون اللفظ «قليل الشيوع او يقتصر استعماله على اساليب معينة ولا يقع في تجارب كثيرة، فتصاب دلالته بشيء من الغموض ويصبح اكثر تعرضا الى الانحراف في الدلالة من الالفاظ المحددة الدلالة.[٢٤] ويضرب لذلك مثلا آخر من عالم الاطفال، فالطفل حين يلعب مع زملائه قد يحتاج الى اسم لجزء من اجزاء اللعبة فلا يستطيع الذهاب ليسأل عن اسم ذلك الجزء، وانما يطلق اسما مولدا حسب فهمه وقياسا على لفظة اخرى او بناء على عمل ذلك الجزء فيسمي الفرملة بالوقافة (الكابح او البريك)، ومثل هذا يحدث مع الجماعات.

بالاضافة الى سوء الفهم الناتج عن الاستعمال اللغوي الذي يترتب عليه مدلولات جديدة، فان بعض الألفاظ تتغير صورتها او تبلى مثل كلمة قماش التي تدل في معجم تاج العروس على اراذل الناس او ما وقع على الأرض من فتات الأشياء. ويبدو ان معنى قماش على هذا الوجه قد اندثر وحل محله معنى آخر هو النسيج، ربما بسبب تداخل هذه اللفظة مع لفظة فارسية هي كماش.

٢ ـ الحاجـة:

قلنا ان اللغة اداة تعبير عن افكار الناس وحاجاتهم. وافكار الناس وحاجاتهم في تطور مستمر وتغير. وهذه الظاهرة قديمة قدم الانسان نفسه؛ ففي العصر الجاهلي «دخل العربية الفاظ من معظم اللغات التي كانت شائعة في التاريخ القديم ممن خالط العرب كالمصريين القدماء والحثين والفينيقيين، والكلدان والهنود والفرس..» ومن هذه الألفاظ التي ما زالت مستعملة في العربية قبس ومشتقاتها وأصلها خبس مصرية قديمة بمعنى مصباح، ونبي ومشتقاتها الكثيرة وهي من اصل مصري ايضا بمعنى رئيس العائلة، وديوان واشتقاقاتها[٢٥].. الخ.

---

٢٤ ـ دلالة الالفاظ ص ١٣٦ وانظر جرجي زيدان اللغة العربية ص ٥٧ ـ ٥٩.
٢٥ ـ جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي ص ٤٥ ـ ٤٦.

والحاجة هي التي الحت على الناس والعلماء لايجاد الفاظ تساير التقدم العلمي والحضاري الذي اصاب العرب في العصر العباسي، وهي ذاتها التي تدفع الناس والمجامع اللغوية لوضع الفاظ تعبر عن حاجاتهم. وان من يتصفح كتابا مثل الفهرست ليدهش لكثرة الألفاظ المعربة.(٢٦)

وقد ادت حركة الترجمة والحاجة الى ابتكار مصطلحات كثيرة، دخل بعضها بعد تهذيب الى العربية، وبقي بعضها على حاله، واستعمل حسب الحاجة، وبعضها ـ وهو موضوع حديثنا ـ تلبس في الفاظ عربية فجعلها تتسع لتشمل المعاني الجديدة، او تنتقل من معنى قديم الى معنى حديث. . مما جعل دلالة الألفاظ تتغير. . ومن امثلة ذلك الدبابة، فقد كانت هذه اللفظة مستخدمة في احدى صيغها منذ العصر الجاهلي (ارجع للسان العرب) ثم اصبحت تدل على آلة حربية في زمن الحروب الصليبية تتخذ من الخشب الثخين وتغلف باللبود والجلود المنقعة بالخل لدفع النار، وتركب على عجل مستدير وتحرك من الداخل بدفع الرجال لها(٢٧). . ثم اصبحت تدل في العصر الحديث على الآلة المعروفة.

وباختصار يمكن للطالب ان يختار بعض الألفاظ من الجريدة او الكتاب ويرجع الى المعاجم المختلفة ليرى عددا من المعاني، وهذه المعاني الموجودة لم تأت عبثا وانما بسبب العوامل التاريخية والاستعمال والحاجة للألفاظ. ويتبين لدى مقارنة معنى الكلمة في العصر الحاضر بمعناها في العصور الغابرة التطور الذي ألمّ بالكلمة. ويمكن للطالب ـ كذلك ـ ان ينظر في المعجم الواحد ليرى تحت المادة الواحدة (كما سيأتي) معاني كثيرة، وهذه المعاني لم تظهر دفعة واحدة بسبب التراكمات التاريخية والثقافية والاجتماعية التي يمكن ان تكون التغير في دلالة اللفظة عبر العصور.

تدريبـــات:

١ ـ السيارة، الطيارة، الجريدة، الصحيفة، المحافظة، القاطرة، الحبر. . . الفاظ احياها الناس وخلعوا عليها دلالات جديدة تعبر عن حاجتهم، ما اصل دلالة هذه الألفاظ؟

---

٢٦ ـ انظر الفهرست لابن النديم او كتب تاريخ الادب التي تبحث في الحياة العقلية عن العرب.
٢٧ ـ انظر ابن شداد النوادر السلطانية ص ٤٢.

٢ ـ استعمل الناس في بداية العصر الحديث الفاظا جديدة للدلالـة على اشيـاء جديدة في العالم العربي مثل اسبطار، تمبيـل، راديو، تلفـزيون بـلاستك؛ سكرتير. . وبعض هذه الألفاظ ما زال مستخدما وبعضه حـل محله الفاظ عربية.

ما هي الالفاظ العـربية المقـابلة وكيف تفسر انـدثار اللفظ الاجنبي وبقـاء بعضه؟ وما العوامل المساعدة على سيرورة الالفاظ العربية؟.

٣ ـ ارصد من خلال قراءاتك الألفاظ الأجنبية المعربة او انظر المقابل لها بالعربية واحكم ايها اكثر سيرورة، ولماذا؟.

٤ ـ تصطرع لفظة حاسوب وكمبيوتر وحاسب الكتروني حاليا ايها تتوقع ان تشبع وايها تفضل ولماذا؟.

الوحدة الخامسة

وسائل تطوير دلالات الألفاظ العربية وتنميتها

واجهت اللغة العربية، عبر عصور خلت، تحديات كثيرة ومصاعب مختلفة، ولكنها صمدت امامها وخرجت قوية ظافرة. واليوم تواجه تحديا هو اشد واقوى مما سبق، وذلك لأسباب أهمها: شعور أبناء العربيـة بالانهزام الثقـافي أمام اللغـات الأخرى، ولأن التقدم العلمي مطّرد اطّراداً يحتاج الى جهود منظمة ومتخصصة. ولما كانت هذه الجهود غير متوفرة بقي كثير من الألفاظ الأجنبية يحتاج الى ادخـال في اللغة. . فازداد حجم التقصير. . ولأن الجامعات العربية ـ عدا النزر اليسير ـ أخذ يدرّس المواد العلمية بلغات أخرى اهمها الانجليزية، مع ان الجامعات مركز اشعاع فكري وقيادي.

الا ان هذا العقد يشهد جهودا مخلصة لهضم كل جديد، وتطويعه واخراجه بلغة عربية مأنوسة حسب طرق معيّنة. ويقوم مجمع اللغة العربية الأردني بدور رائد في تجميع الجهود اللغوية وعقـد المؤتمرات ومتـابعة التـوصيات وتنفيـذها. ويـركز القائمون عليه جهودهم في تعريب التعليم الجامعي، مما يؤدي الى سيرورة في الألفاظ التي تعرب كما يؤدي الى حفز الهمم في التوجه نحو التعريب الحقيقي.
ومع ان هذا الجيل يحس باندثار دعوات التعجيم والفرنجة الا انه يرى ضرورة الاهتمام بتعريب الذوق والثقافة والعقلية العربية جنبا الى جنب مع التعريب اللغوي والعلمي.

على ان التعريب ليس الوسيلة الوحيدة لتنمية الألفاظ العربية، وان كان اهمها لما له من قدرة على هضم افكار الأمم الأخرى وخبراتها واغناء العربية بها. فهناك وسائل اخرى لتنمية دلالات الألفـاظ وتطويـرها مثـل النقل المجـازي والاشتقاق والنحت. . وفيما يلي تعريف بهذه الوسائل.

١ ـ التعريـــب:

عرف القدماء التعريب بانه «الاسم تتفوه به العرب على منهاجها»[١]، بمعنى انه نقل الكلمة من العجمية الى العربية. وقد ميز هؤلاء بين المعرَّب والـدخيل؛

---

١ ـ المزهر ٢٦٨/١ وانظر فقه اللغة لأميل بديع ص ٢١٥.

فالمعرب هو اللفظ الذي جرى عليه تغيير بحركاته او حروفه عند ادخاله العربية. والدخيل هو ما دخل العربية دون تغيير. وبعض الباحثين المعاصرين يطلق على التعريب اسم الاقتراض، ويقصدون به اخذ لغة من لغة اخرى، واما الترجمة فهي عملية اشمل، تترجم فيها اللغة والأفكار من لغة الى لغة اخرى مع احتمال توفر الألفاظ البديلة في اللغة المترجم اليها، في حين ان الاقتراض يدل على عدم وجود اللفظة او الألفاظ في اللغة المقترضة (بكسر الراء). والتعريب هو تخصيص للترجمة بمعنى انه نقل من اي لغة الى العربية وقد تكون الفاظ المادة المترجمة موجودة في العربية وان لم تكن البدائل موجودة فيقوم المعرب بادخالها في العربية وتصبح معربة.

ومن الملاحظ ان اللغات ـ كالانسان ـ تعيش في بيئات مختلفة، وتلتقي ويحدث اخذ وعطاء.. وكلما زادت العوامل والمؤثرات زاد الاخذ والعطاء او التبادل. ومن الاسباب التي تساعد على التبادل: المجاورة، وتفاوت الشعبين في الثقافة، والحرب، والتجارة، والتعلم، والدين، وطول لالتقاء..

وقد برزت هذه الظاهرة في اللغة العربية ـ التي هي تاريخ الأمة العربية ـ منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر. فأدب الجاهليين يحتوي الفاظا غير عربية[٢] منها السجنجل والفلفل والترياق والمسك والعنبر والقرنفل، وفي لغتهم وجدت الفاظ مثل الكعك، والكوز والإبريق والطبق والديباج والنيروز والنرجس والبنفسج، والدولاب والشطرنج.. والفردوس والقسطاس والقنطار والمشكاة والصندل والجاموس.[٣]

وظاهرة الاقتراض ظاهرة عالمية قديمة حديثة، تشعرك بحيوية اللغة ومتابعة اهلها لما يجري، ولا يستطيع احد وقفها او منعها لانها تيار غير مرئي فاذا لم نستطع مسايرته وتغذيته ووضع قواعد تزيد من فاعليته اصاب القوم بلبلة وضياع، على نحو ما شاهدناه حتى العقد الحالي.

وقد لاحظ علماء العربية هذه الظاهرة ولم يمنعوها ولم يعدوها عيباً، بل اشتقوا منها الفاظا تخفى على العربي انها ذات يوم لم تكن عربية. ومثال ذلك مشتقات نبأ او

---

٢ ـ انظر على سبيل المثال ديوان امرىء القيس.

٣ ـ انظر اللغة العربية كائن حي ص ٣٥ وما بعدها.

قبس او ترع او تلمذ او درهم . . الخ . وقد قسموا المعرب من حيث دخوله العربية الى : المعرب الذي غير والحق بأبنية العربية، والمعرب الذي لم يغير ولم يلحق بها، والمعرب الذي لم يغير ولكنه ملحق بها . .(٤)

واما المؤلفات التي تبحث في المعرّب فقد عقد ابو عبيد القاسم بن سلام فصلا عنوانه ما دخل من غير لغات العرب في العربية، وقدم مثله كل من ابن قتيبة في ادب الكاتب وابن دريد في الجمهرة وافرد ابن سيده في كتابه «المخصص» بابين للمعرب . أما في القرن السادس فقد ظهر كتاب خاص للجواليقي (٤٦٥ ـ ٥٤٠ هـ) بعنوان «المعرب من الكلام الاعجمي»، ثم الف عبدالله بن محمد العذري البشبيشي (٧٦٢ ـ ٨٢٠) كتاب «التذليل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل» والف شهاب الدين الخفاجي (١٠٦١) كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»(٥) .

كل ذلك يؤكد ادراك العلماء لأهمية التعريب ووجوده في مرحلة مبكرة . وقد حاول بعضهم نفي وجود كلمات اعجمية في القرآن الكريم فقال ابو عبيدة معمر بن المثنى : «من زعم ان في القرآن لسانا غير العربية فقد اعظم القول» بدليل قوله عز وجل «انا جعلناه قرآنا عربيا . .» ولكن الجمهور على ان الألفاظ الأعجمية المعدودة في القرآن اصلها اعجمي وحين دخلت القرآن واستعملت باللسان العربي اصبحت عربية معربة،(٦) وفي هذا دليل آخر بل حفز على تعريب الأعجمي ما احتيج اليه .

ومن الملاحظ ان كثيرا من الألفاظ المعربة المستساغة تبقى في اللغة واما التي تنبو عن الذوق فانها تموت سريعا . ولو تصفحنا في كتب العصر العباسي الذي كان مركزا للعلوم والترجمة والآداب . . لوجدنا الفاظا كثيرة في كتب الفارابي والرازي وابن سينا وغيرهم تزخر بتعريب الألفاظ الطبية والطبيعية والكيميائية والفلكية والرياضية والفلسفية، وبالطبع فان هذه الألفاظ للمتخصصين ونسبة دورانها قليل جدا .

---

٤ ـ انظر عمر رضا كحالة : اللغة العربية وعلومها ص ٣٥ وانظر د . محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون ص ٣٤ ـ ٣٥ .

٥ ـ المرجع السابق .

٦ ـ انظر للتفصيل د . صبحي الصالح . دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٦٠ ص ٣١٦ ـ ٣٢٠ .

وقد لخص الأمير مصطفى الشهابي القواعد التي اتبعها المترجمون في وضع المصطلحات في ذلك العصر على النحو التالي:[٧]:

١ ـ استعمال المرادف العربي ان وجد او تحوير معنى اللفظة العربية ليناسب المعنى الجديد.
٢ ـ اشتقاق كلمات جديدة من اصول عربية او معربة للدلالة على المعنى الجديد.
٣ ـ تعريب اللفظة الأجنبية بحيث تناسب الأصوات العربية والميزان الصرفي العربي.
٤ ـ ترجمة اللفظة الاجنبية بمعناها وادخالها الى العربية.

كيف نعرف عجمة الكلمة:

ومع ان الألفاظ المعربة تبدو للعليم باسرار العربية بحكم النسج والجرس المتناسق الا ان ائمة العربية وضعوا مقاييس نعرف بها عجمة الكلمة،[٨] وهي:

١ ـ خروجها عن الأوزان العربية نحو: إِبْرَيْسَم، فان مثل هذا الوزن، مفقود في ابنية الاسماء العربية. وهو على وزن افعيلل. ومثله آمين على زنة فاعيل، وآجُرٌّ على وزن فاعُلّ.
٢ ـ ان يجتمع فيها حرفان لا يجتمعان في العربية:
ـ ن ر ـ نحو: نرجس.
ـ د ز ـ نحو: مهندز.
ـ ص ج ـ نحو: صولجان وجص.
ـ ج ق ـ نحو: منجنيق.
فهذه كلمات غير عربية لاجتماع النون والراء في الكلمة الأولى، والدال والزاي في الثانية، والصاد والجيم في الثالثة، والجيم والقاف في الرابعة.
٣ ـ ان تكون خماسية او رباعية عارية عن حروف الذلاقة، وهي: الباء، والراء، والفاء، واللام، والميم، والنون. فإن اللفظ العربي لا بد ان يكون فيه شيء من هذه الحروف مثل: سفرجل.

---

٧ ـ الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ص ٦٣ وما بعدها.
٨ ـ انظر السيوطي، المزهر ١/٢٧٠ واميل بديع، فقه اللغة العربية ص ٢١٨.

٤ - ان ينقل عن احد ائمة اللغة العربية بأن هذا اللفظ معرب.
٥ - ان لا يعرف لها اصل عربي اشتقت منه، وذلك نحو: بستان، فانه اعجمي وليس في العربية مادة بست او بستن.

التعريب في العصر الحديث:

ازداد الالتقاء، في هذه الأيام، بين العربية واللغات الأخرى: وذلك بفضل تقدم وسائل الاعلام المذهل. وظهرت الحاجة الماسة الى جلب ما يجد من وسائل الحضارة المفقودة عند العرب. وصاحب مجيء هذه الاشياء اسماؤها التي اطلقت عليها في بلادها، وذلك مثل: ترانزستور، دينمو، كلاسيكي، رومانسي.. وغيرها كثير. ولاحظ العلماء ذلك فوقفوا مواقف مختلفة تجاه التعريب:

١ - فريق يرفض فكرة التعريب مطلقاً، وذلك لأنهم يؤثرون استخدام الألفاظ العربية، إما عن طريق اشتقاق الفاظ جديدة من المستعملة (حاسوب، اذاعة..). واما عن طريق احياء الالفاظ القديمة الميتة وإعطائها الحياة من جديد، واما عن طريق ترجمة اللفظ بمرادفه مثل: الصور المتحركة للسينما. ومن انصار هذا المذهب الرافعي وعز الدين التنوخي.

٢ - وفريق يجيز التعريب مطلقا. ويجيزون كذلك الاشتقاق من المعرب. فيشتقون تدرهم من درهم، ومُدْنر من دينار. وعذرهم انه لا فرق بين تلفون وهاتف، وراديو ومذياع، ما دامت اصواتها عربية. ومعنى ذلك انه «لا مانع عند هذا الاتجاه من ان نعرِّب معظم المصطلحات العلمية»(١٠). ومن انصار هذا الفريق يعقوب صروف.

٣ - وفريق يقف موقفا وسطا(١١)، فهو يبحث اولا في العربية ويحاول ايجاد لفظ مناسب باحدى الطرق المعروفة. وحين لا يجد اللفظ المناسب يلجأ الى التعريب، فيصوغه بقالب عربي. وهذا هو الرأي الاسلم عند كثيرين. ولعل واقع العربية يؤيد هذا الرأي، فهي تحتوي على الفاظ اجنبية خلال العصور

---

٩ - محمد الانطاكي، الوجيز ص ٤٥٨.
١٠ - اميل بديع. فقه اللغة ص ٢٢٢ والمرجع السابق.
١١ - المرجع السابق: فقه اللغة ص ٢٢٢ والوجيز ص ٤٦٠.

الماضية دون ان تطغى عليها او تقف سدا منيعا امام اي لفظ جديد. وهذا ايضا ينسجم مع قرار مجمع اللغة العربية الذي «يجيز استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم».

ولدى دراستنا هذه الآراء ،نجد ان الفريق الأول يغض النظر عن ظاهرة طبيعية يحدث مثلها بين اي لغتين تلتقيان. واللغة العربية ـ قديما وحديثا ـ اقترضت الفاظا كثيرة، ولم يحرم ذلك احد، بل ان القرآن نفسه ليشتمل على الفاظ معربة. واما الرأي الثاني فهو رأي متطرف تطرفا مائعا يمكن معه جعل اي لفظة اجنبية لفظة عربية، وبالتالي لا وجه للممانعة اذا قلنا «اترمت الى اوتيل الكورنر كالم ورجعت بالاوتومبيل» بدلا من «ذهبت الى فندق الزاوية الهادئة بالقطار ورجعت بالسيارة». على ان ذلك لا يعني ان يتمسك الناقل باللفظ العربي الذي لا يدل على المقصود او يطلق الفاظا لها مدلولات خاصة على مسميات علمية كأن يطلق يد على هيدروجين. . ولا يعني ذلك ايضا ان ندعو لاجتماعات واجتماعات لننظر في المصطلحات العلمية، لأن ذلك يعني ان هذه المصطلحات ستدخل كما هي دون تشذيب او تهذيب، ومن المعلوم ان العلم في تطور مستمر وقد احصي منها ما يقارب المليون ونصف المليون مفردة وهي تزداد بمعدل خمسين الى مائة مصطلح يوميا.(١٢)

وقد اشرنا الى اهتمام المجامع اللغوية العربية بهذا الأمر واهتمام المختصين بالتعريب فصدرت عدة معاجم علمية منها: معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ومعجم المصطلحات الأثرية ومعجم المصطلحات الطبية ومعجم المصطلحات الزراعية ومعجم المصطلحات الفلسفية ومعجم المصطلحات الأدبية. . الا اننا ما زلنا ننتظر التعريب الجامعي والتعريب في الأذواق وفي اسماء المحلات التجارية، وان تقوم الأجهزة التي بيدها تخليد الكلمة متآزرة متعاونة لتبدأ حركة التعريب الشامل المستمر.

---

١٢ ـ انظر د. اميل يعقوب. فقه اللغة العربية وخصائصها ص ٢٢٣.

٢ - النقــل المجازي:

أ - واذا كان التعريب ينمي اللغة باكتساب الفاظ من خارج اللغة، فـان النقل المجازي يقوم بهذه العملية من داخل اللغة، وذلك باعطاء الالفاظ دلالات جديدة. والعلماء حين يذكرون هذه الوسيلة فانهم يذكرون الى جـانبها الحقيقـة، ويعرفونها بانها «الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل»[١٣]

وعند ابن جني: الحقيقة: ما أُقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة. والمجاز: ما كان بضد ذلك[١٤]. وبعبارة اخرى الحقيقة هو ان تستعمل الكلمـة بدلالتها الأصلية كما وضعها الواضع الأول. والمجاز ان تستعمل الكلمة ذاتها بدلالة جديدة غير الدلالة الأولى التي وضعها الواضع الأول. ونضـرب على ذلـك المثال التالي:

قـامـت تـظللني ومـن عـجـب شـمس تـظللني مـن الـشـمس

فالشمس الثانية استعملت على الحقيقة، وتعني ذلك النجم المتعارف عليه. وهذا هو الاستعمال الأصلي لهذه الكلمة. فالواضع الأول اطلق لفظ «شمس» على ذلك النجم، وبقي هذا الاستعمال شائعا حتى الآن. واما الشمس الأولى فليست حقيقية. وذلك بدليل قوله «تظللني». فالشمس الحقيقية تزيـل الظل. وامـا هذه فتصنع الظل. وهذا يدل على انها استخدمت استخداما جديدا، وصارت تدل على معنى آخر غير المعنى الأول. فهذا الانتقال من استخدام الكلمة بمعناها الحقيقي الى استخدامها بالمعنى الجديد هو ما يقصد به النقل المجازي.

وتكمن اهمية المجاز في انه وسيلة هامة من وسائل التوسع اللغوي واثراء اللغة وسد اوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة. وبه تحصل اللفظة عـلى معان جديدة، وتتجدد حياة الألفاظ وينفى عنها الخمول والرتابة، وهـو مجال كبـير امام الشعراء والكتاب يأتون به بكل جديد. اضف الى ذلك انه يعطي مجالا كبيرا للتعبير عن كثير من الأمور التي يكره ذكرها صراحة (كالالفاظ الجنسية). فيؤدي المعنى بلفظ

---

١٣ - المزهر ١/٣٥٥.

١٤ - الخصائص ٢/٤٤٢.

ترتاح اليه النفوس ولا تمجه الآذان. وهو ـ ايضا ـ عامل مهم للحفاظ على اللغة العربية امام الألفاظ الاجنبية الغازية[١٥] بأن تتسع اللفظة بالمجاز لتحل محل اللفظة الاجنبية (كالحاسوب بدل كمبيوتر). «وصفوة القول ان باب المجاز واسع وان فيه مجالا لتنمية العربية ولا سيما بالمصطلحات العلمية واسماء المخترعات الحديثة»[١٦].

ب ـ ويقصد الى المجاز لمعان ثلاثة، هي الاتساع والتوكيد والتشبيه.[١٧] فإن فقدت من الكلام تعينت الحقيقة، ومثال ذلك قول الرسول عليه السلام في الفرس: هو بحر. فالاتساع هنا انه زاد في اسماء الفرس اسما جديدا هو البحر، كالجواد، وغيره. ويمكن استعمال هذا الاسم ان احتيج اليه في شعر او سجع كاستعمال الاسماء الأخرى. وذلك نحو قول الشاعر:

علوت مطا جوادك يوم يوم وقد ثمد الجياد فكان بحرا

وكقول الساجع: فرسك هذا اذا سما بغرته كان فجرا، واذا جرى الى غايته كان بحرا.

واما التشبيه فقد شبه الفرس بالبحر، وذلك لأن جريه يشبه في الكثرة مجرى مائه، واما التوكيد فلأنه شبه العرض بالجوهر، وهو اثبت في النفوس منه. ومن الأمثلة التي يطرحها ابن جني قوله تعالى «واسأل القرية»، «فالاتساع لأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله.. واما التشبيه فلأنها شبهت بمن يصحُّ سؤاله. واما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ احالة بالسؤال على من ليس من عادته الاجابة. فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليه السلام انه ان سأل الجمادات والجبال انبأته بصحة قولهم. وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر، اي لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا. فكيف لو سألت مَن مِن عادته الجواب»[١٨].

واختلف العلماء في الكلام احقيقة هو ام مجاز؟ فذهب ابن جني الى ان «اكثر اللغة مجاز لا حقيقة. وذلك نحو جاء الصيف، وانهزم الشتاء.[١٩] وذهب بعض

---

١٥ ـ انظر عوامل التطور اللغوي ٥٧.
١٦ ـ المولد ١٢٧.
١٧ ـ الخصائص ٢/٤٤٣.
١٨ ـ الخصائص ٢/٤٤٧.
١٩ ـ السابق ٢/٤٤٧.

العلماء الى أنه لا مجاز في لغة العرب.[٢٠] وان الكلام يستعمل على الحقيقة.

والحقيقة ان الرأي الثاني ضعيف. وان المجاز يشكل اكثر اللغة. ولعلك لو فكرت في كلمات كثيرة لوجدت ان منها ما يدل على الحقيقة وان منها ما يدل على المجاز. ولنأخذ مثالاً على ذلك مادة ضرب في اساس البلاغة ولنلاحظ الفرق بين الاستخدام الحقيقي والمجازي:

ضربه بالسيف وغيره، وضاربه، وتضاربوا واضطربوا، وضرّبوا اعناقهم، وامر بتضريب الرقاب.. ورجل ضَرْب: خفيف اللحم غير جسيم..

ومن المجاز:

ضرب على يده اذا افسد عليه امراً اخذ فيه
ضرب القاضي على يده حجره
ضرب في الأرض وفي سبيل الله
بيتنا مضرب بعيد: مسافة

ومن المضاربة، يقال ضاربته بالمال وفي المال، وضارب فلان لفلان في ماله: تجر له فيه.

وضرب الجُرْحُ والضّرسُ: اشتد وجعه
وضرب العرق ضرباناً: نبض
وضرب الشيءَ بالشيء: خلطه
«وضربت عليهم الذلة»، وضرب الله على آذانهم بمعنى ختم
طير ضوارب: طوالب للرزق
ضرب الفحلُ الشول ضرابا
ضربت المخاض، وهي ضوارب اذا شالت بأذنابها ثم ضربت بها فروجها.
ضرب الأرض اذا ابدى
ذهب فلان ليضرب الغائط
ضُربت عليهم ضريبة وضرائب من الجزية وغيرها.

---

٢٠ - المزهر ١/٣٦٤.

وضرب خاتما
ضرب اللبنَ
ضرب مثلا
هو ضريبه: مثله
ضرب بذقنه خوفا او حياء او نكدا
رأيته مضرباً: اي مطرقاً
أضرب فلان في بيته وما زال مضرباً فيه اذا لم يبرح
أضرب عن الأمر: عزف عنه
وضرب في جهازه اذا نفر
ضُرب فلان على الكرم
الضريبة والضرائب: الطبائع
وطريق مكة ما ضربها العام قطرة
مطر ضَرْب: خفيف
وضربت فيه فلانة بعرق ذي أشَب
وما لفلان مضرب عسلة
وانه لكريم المضرب شريف المنصب
وأضرب جأشا لأمر كذا اذا وطن نفسه عليه.
ضربت عنه جروتي اذا عزفت عنه
وجاء فلان يضرب بشر: يسرع به
وهذه شاة ما يُرمّ منها مضرب اذا كسر عظم من عظامها لم يصب فيه مخ
وضرب الصبي اذا نشأ يسمن
وضرب الوتد في مكان كذا: اقام فيه
وضرب الدهر بيننا فرقنا. قال ذو الرمة:
فـان تضـرب الأيـام يـا ميُّ بيننـا فـلا نـاشـر سـرّاً ولا مـتـغـيِّرُ
وضرب اللبنَ في السّقاء: حفنه
وضربته العقرب: لدغته
وضرب الفخ على الطائر، وهو الضاروب.

وفلان يضرب المجد: يجمعه
وقد ضرب مناقب جمّة، واضطربها: حازها. قال الكميت:
رحب الفناء اضطرابُ المجد رغبته والمجدُ انفع مضروب لمضطرب

والنبت يضرب النبت اضرابا، وقد ضرب ضربا اذا فسد
ورجل مضطرب الخلْق: متفاوته. وفي رأيه اضطراب.
واضطرب من كذا: ضجر
وفلان قد ارتفع شأنه واضطرب ذكره.[٢١]

ولو القينا نظرة اخرى على **المعجم الوسيط** لخرجنا، اضافة الى ما سبق، بما يلي:

ضرب الحاسبُ عدداً في آخر: كرره بقدر آحاد الآخر
ضرب له موعداً: حدّده وعيّنه
ضرب الليل بظلامه: اقبل
ضرب الرقم القياسي في الركض مثلا: تعداه الى رقم جديد لم يبلغه احد (محدثة)
أضرب العمال: كفوا عن العمل حتى تجاب مطالبهم (محدثة)
ضاربه في السوق: اشترى في الرخص وتربص حتى يرتفع السعر ليبيع، وقد يهبط فتحدث الخسارة (محدثة).
تضاربت الآراء ونحوها: تباينت واختلفت.
الضرْب (في الاحياء): وحدة من وحدات التصنيف الصغرى كالسلالة (مجمع).
ضربة الشمس: حالة مرضية حادة تنشأ من تأثير اشعة الشمس الحارة يصحبها هبوط شديد قد يكون قاتلا اذا لم يسعف المريض (مجمع)[٢٢].

ويلاحظ في المثال الأول ان استعمال ضرب، على الحقيقة، قد جاء قليلا. في حين ان المجاز منها كثير جداً. كما يلاحظ على المادة ـ بالمقارنة مع المعجم الوسيط ـ انه

---

٢١ ـ اساس البلاغة للزمخشري ٣٧٣ وانظر لمزيد من الأمثلة د. محمود السعران ص ٢٩٩ ـ ٣٠١ ومحمود حجازي. اللغة العربية عبر القرون ص ١٠٥.
٢٢ ـ المعجم الوسيط مادة ضرب.

قد حدث عليها تطور كبير، وصارت تعني اشياء جديدة لم تكن تعنيها ايام الزمخشري صاحب أساس البلاغة. وللحقيقة نقول ان بعض الألفاظ قد ماتت في لغتنا اليوم. وهذا واضح من خلال المثال السابق اشد الوضوح.

ويأخذ ابراهيم انيس على القدماء، في هذه المسألة، اهتمامهم بالواضع الأول للفظة «الشمس»، مثلا. وهل استخدمت ـ حقا ـ بالمعنى الذي نعرفه؟ وقد تكون في الأصل لفظة مجازية ثم صارت بكثرة الاستعمال والإلف حقيقية. والبحث في هذه المسألة من باب الغيبيات الذي تتجاوزه الدراسات اللغوية المعاصرة. ويأخذ عليهم ايضا تجاهلهم «اثر اللفظ في الفرد حين يسمع اللفظ او يقرؤه، فهو الذي يستطيع الحكم على الحقيقة والمجاز»[٢٣] فالحقيقة هي استعمال شائع مألوف. اما المجاز فهو انحراف عن هذا الشيوع. وقد يسمع الفرد اللفظ فلا يرى فيه مجازا. ويسمعه آخر فيعجب به. ومن خلال هذه النظرة الفردية للألفاظ يستطيع الباحث تبين الحقيقة او المجاز في بيئة معينة عند جيل من الناس، وسيجد قدرا كبيرا من الاشتراك بينهم في الحقيقة او المجاز، «ولا يكون الحكم صحيحا على الحقيقة والمجاز في الألفاظ الا اذا اقتصر على بيئة معينة وجيل خاص، فالمجاز القديم مصيره الى الحقيقة، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها الى الزوال والاندثار، وتبقى الالفاظ اذا قدر لها البقاء تنتقل من مجال الى آخر جيلا بعد جيل، وذلك هو التطور الدلالي. فكثير من الدلالات التي كانت سائدة في الجاهلية قد اصابها البلى.. لم تعد صالحة للاستعمال، اي ان أسمى درجات الجدة والطرافة في الاستعمال هو ما يسمى بالمجاز، ثم تتقلص تلك الجدة مع الزمن ويؤول امرها الى الألفة والذيوع، وهو ما نسميه بالحقيقة[٢٤].

فائدة: كيف نعرف المجاز من الحقيقة؟.

يمكن معرفة المجاز من الحقيقة بطريقة من الطرق الآتية:

١ ـ ان يقفنا اهل اللغة على انه مجاز وليس حقيقة.

٢ ـ ان تطرد الكلمة في موضع، ولا تطرد في موضع آخر من غير مانع، فيستدل

---

٢٣ ـ دلالة الألفاظ ١٢٨ وقد يرد على ابراهيم انيس بما جاء في المزهر ١/٣٦٢ «فمن وجوه الفرق بين الحقيقة والمجاز ان يوقفنا اهل اللغة على ان مجاز ومستعمل في غير ما وضع له، كما وقفونا في استعمال اسد وشجاع وحمار، في القوي والبليد، وهذا من اقوى الطرق».

٢٤ ـ دلالة الألفاظ ١٣١.

بذلك على كونها مجازا، وذلك لأن الحقيقة اذا وضعت لافادة شيء وجب اطّرادها. وامتناع الاطراد مع امكانه دليل على انتقال الحقيقة الى المجاز.

٣ - انه يمكن تأكيد الكلام الحقيقي، في حين لا يجوز ذلك مع المجاز. فيقال في الحقيقة: اكلت التفاحة اكلًا، ولا يقال في المجاز: شربت ماء البحر كله، او قالت الشمس قولا.

٤ - استعمال اللفظ بعبارتين، بقرينة وبدون قرينة. فتكون المستعملة بقرينة هي المجاز، والأخرى هي الحقيقة.

٥ - انه يقاس على الحقيقة ولا يقاس على المجاز. فمن الضَرْب يقال: ضرب يضرب فهو ضارب. ويطلق هذا على كل ضارب. ولا يقال واسأل البساط، واسأل الحصير. واسأل الثوب بمعنى: اسأل صاحبها، قياساً على «واسأل القرية».

٣ - الاشتقـــاق:

الاشتقاق - لغة - هو: أخذ شق الشيء - وهو نصفه. والاشتقاق الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد. واشتقاق الحرف من الحرف اخذه منه». (٢٦) اما في الاصطلاح فله عدة تعريفات، منها: «اقتطاع فرع من اصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل»، و«اخذ كلمة من اخرى بتغيير ما مع التناسب في المعنى»، و«رد كلمة الى اخرى بسبب تناسبها في اللفظ والمعنى»، و«نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتها في الصيغة»(٢٧).

وقد ذكر العلماء شروطا للاشتقاق اهمها: (٢٨)

١ - ان يكون له اصل، فان المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان اصلا في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقا.

٢ - ان يكون تناسب في الحروف بين المشتق والمشتق منه.

٣ - ان تكون بينهما مناسبة في المعنى.

---

٢٥ - انظر المزهر ١/٣٦٣.

٢٦ - لسان العرب، مادة شقق.

٢٧ - انظر التعريفات ص ٢٧، وفقه اللغة لأميل بديع ص ١٨٦ - ١٨٧.

٢٨ - د. اميل بديع، فقه اللغة ص ١٨٧.

والاشتقاق وسيلة هامة من وسائل تنمية اللغة وزيادة مفـرداتها. واذا كـان المجاز ينمي اللغة باعطاء المفردات معاني جديدة، فان الاشتقاق يقوم بهذه الوظيفة عن طريق توليد الألفاظ بعضها من بعض مع ابقاء نوع من الـرابطة بـين المشتق والمشتق منه في اللفظ والمعنى. بالاضـافة الى انـه وسيلة لمعرفـة اللفظ المعرّب من الأصيل، فالسرادق مثلا ليس لها اصل في العربية اذ لا يوجد منها سردق، فنعرف من ذلك انها ليست عربية.

وكان الاشتقاق على نوعين: الصغير والكبير، فاضاف ابن جني اليها نوعا ثالثا وهو الاشتقاق الأكبر، وبعض المحدثين يضيف الى هذه الثـلاثة نـوعا رابعـا وهو الاشتقاق الكُبّار او النحت. وفيما يلي تعريف بهذه الأنواع:

أ ـ الاشتقاق الصغير:

وهو نزع لفظ من آخر آصل منه، بشرط اشتراكهما في المعنى والأحرف الأصول وترتيبها. وذلك ان تشتق من المصدر (على رأي البصريين)[٢٩] ضَرْب: ضَرَب، يضرب، اضرب، ضارب، مضروب، ضرّاب... فهي تشترك في المعنى والاحرف (ض + ر + ب) وفي ترتيبها.

وهذا الاشتقاق هو أكثر انواع الاشتقاق وروداً في اللغة العربية واكثرها اهمية. وهو وسيلة هامة من وسائل تنمية اللغة واثرائها. فاللفظة الواحدة يمكن ان نشتق منها الفاظا عديدة. ولنأخذ مثلا على ذلك المصدر «كتابة»، فمنه يمكن ان نشتق: كتب، يكتب، نكتب، أكتب، تكتب، اكتبْ، كاتبون، كتبة، كتاب، كاتبة، مكتب، مكتبة، مكتوب، مكاتيب، كتيِّب، كُتّاب، كتاتيب... فانت تـلاحظ ان بعض هذه الأوزان قديمة (كتب)، وبعضها قريب العهد بنا (كُتّاب) وبعضها الآخر لا يزال مستعملا (مكتب، مكتبة). وبذا فان الاشتقاق الصغير يسهم اسهاما كبيرا في تنمية مفردات اللغة وزيادتها لتواكب التقدم الحضاري والعمراني الذي يجد على الساحة العربية.

---

٢٩ ـ هذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين. فالبصريون يرون ان اصل المشتقات هو المصدر، والكوفيون يرون ان الفعل هو الأصل. وحجج البصريين هي:

١ - ان المصدر يدل على زمان مطلق، اما الفعل فيدل على زمان معين. وكما ان المطلق اصل للمقيد، فكذلك المصدر اصل للفعل.
٢ - ان المصدر اسم، والاسم يقوم بنفسه، ويستغني عن الفعل، لكن الفعل لا يقوم بنفسه، بل يفتقر الى الاسم، وما يستغني بنفسه ولا يفتقر الى غيره اولى بان يكون أصلاً مما لا يقوم بنفسه ويفتقر الى غيره.
٣ - ان المصدر انما سمي بذلك لصدور الفعل عنه.
٤ - ان المصدر يدل على شيء واحد وهو الحدث، اما الفعل فيدل بصيغته على شيئين: الحدث والزمان المحصل. وكما ان اصل الاثنين فكذلك المصدر اصل الفعل.
٥ - ان المصدر له مثال واحد نحو «الضَرْب» و «القتل»، والفعل له امثلة مختلفة، كما ان الذهب نوع واحد وما يوجد منه انواع وصور مختلفة.
٦ - ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر. وليس العكس صحيحا. لذلك كان المصدر اصلا والفعل فرعا، لأن الفرع لا بد وأن يكون فيه الأصل.

وأما حجج الكوفيين فأهمها ما يلي:

١ - ان المصدر يصحّ لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله نحو: قاوم قواما وقام قياما.
٢ - ان الفعل يعمل في المصدر نحو: ضربت ضربا. وبما ان رتبة العامل قبل رتبة المعمول، وجب ان يكون المصدر فرعا على الفعل.
٣ - ان المصدر يذكر تأكيدا للفعل نحو: ضربت ضربا، ورتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد.
٤ - ان هناك افعالا لا مصادر لها، وهي نعم، وبئس، وعسى، وليس، وفعل التعجب، وحبذا. فلو كان المصدر اصلا لما خلا من هذه الأفعال لاستحالة وجود الفرع من غير اصل.
٥ - ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل، والفاعل وضع له «فَعَل» و «تَفْعَل»، فينبغي ان يكون الفعل الذي يعرف به المصدر اصلا للمصدر - انظر الانصاف للانباري.

وبعض المحدثين يرى ان الاسماء الجامدة واسماء الاصوات هي اصل للفعل، والفعل هو اصل للمشتقات (انظر فقه اللغة - اميل بديع ١٩٤). وذلك نحو: دمغته اذا ضربت دماغه، وتبنيته اذا اتخذت منه ابناً، وشتوا واخرفوا واربعوا اذا دخلوا في الشتاء والخريف والربيع. واشتقوا من الأصوات نحو قولهم: هاهيت وحاحيت وعاعيت وحأحأت وسأسأت وشأشأت.

وممن ادلى بدلوه في هذه المسألة فؤاد ترزي، ويتلخص هذا الرأي في:
١ - ان اصل الاشتقاق في العربية ليس واحدا، فقد اشتق العرب من الأفعال، والاسماء (الجامد منها والمشتق)، والحروف، ولكن باقدار تقل حسب ترتيبها هذا. فاكثر ما اشتق منه الأفعال، ثم الاسماء، فالحروف.
٢ - ان ما ندعوه بالمشتقات - بما فيها المصادر - قد اشتق من الأفعال بصورة عامة.
٣ - ان هذه الأفعال، بدورها، قد تكون اصيلة مرتجلة، وقد تكون اشتقت من اسماء جامدة، او ما يشبه الاسماء الجامدة من اسماء الأصوات والحروف (انظر فقه اللغة لاميل بديع ١٩٦) والمشتقات تشمل اسم المصدر واسم المرة واسم الهيئة والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة واسم التفضيل واسم الالة والأفعال المزيدة (وانظر المزهر ١ / ٣٥٠).

ب ـ الاشتقاق الكبير:

هو ان يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف نحو: جذب وجبذ، وحمد ومدح، واضمحلّ وامضحلّ. [٣٠] وأول من اهتم بهذا النوع من الاشتقاق هو ابن جني الذي افرد له بابا خاصا سماه «الاشتقاق الأكبر» يقول: هذا موضع لم يسمه احد من اصحابنا، غير ان ابا علي[٣١] ـ رحمه الله ـ كان يستعين به، ويخلد اليه، مع إعوار الاشتقاق الأصغر،[٣٢] لكنه مع هذا لم يسمّه، وانما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح اليه، ويتعلل به. وانما هذا التقليب لنا نحن. وستراه فتعلم انه لقب مستحسن. وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير. فالصغير ما بأيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ اصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وان اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب (س ل م)، فانك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو سلم ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم: اللديغ، اطلق عليه تفاؤلا.. فهذا هو الاشتقاق الأصغر.. واما الاشتقاق الأكبر فهو ان تأخذ اصلا من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وان تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل اليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد»[٣٣]

ومن الشواهد التي يوردها ابن جني على هذا النوع من الاشتقاق تقليب (ج ب ر) «فهي، اين وقعت، للقوة والشدة، منها: «جبرت العظم والفقير»، اذا قويتهما، وشددت منهما، والجَبْر: المَلِك لقوته وتقويته لغيره. ومنها «رجل مجرّب» اذا جرّسته الأمور ونجّذته، فقويت مُنّته، واشتدت شكيمته. ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه.. ومنها «الأبجر والبُجْرة» وهو القوي السرة.. ومنه «البُرْج» لقوته في نفسه وقوة ما يليه به.. ومنها رجّبت الرجل اذا عظمته وقويت امره، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، واذا كرُمت النخلة على اهلها فمالت دعموها بالرُّجبة، وهو شيء تسند

---

٣٠ ـ التعريفات ٢٧.

٣١ ـ ابو علي الفارسي ـ استاذ ابن جني.

٣٢ ـ يعني انه كان يستعين به لمعرفة اصول الكلمة ان أعوزه الاشتقاق الأصغر.

٣٣ ـ الخصائص ٢/١٣٣ ـ ١٣٤.

اليه لتقوى به، والراجبة: احد فصوص الاصابع، وهي مقوية لها»[٣٤]. ويأخذ تقاليب (ق س و) فيجد قوة واجتماعا، فمنها «القسوة» وهي شدة القلب واجتماعه، ومنها «القوس» لشدتها، واجتماع طرفها. ومنها «الوقس» لابتداء الجرب، وذلك لأنه يجمع الجلد ويُقْحِلُه،[٣٥] ومنها «الوسق» للحمل، وذلك لاجتماعه وشدته، ومنه: استوسق الأمر اي اجتمع «والليل وما وَسَقَ»[٣٦] اي جمع، وذلك لأنه استحثاث وجمع للمسوق بعضه الى بعض. .[٣٧].

وهذا الاشتقاق له دور في تنمية الفاظ اللغة، ولكنه دور اقل اهمية من دور الاشتقاق الصغير. وقد وقف منه العلماء ثلاثة مواقف، فأيده فريق وبالغ في تأييده. ومن هذا الفريق الزجاج الذي كان يزعم «ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف، وان نقصت حروف احداها عن حروف الأخرى، فإن احداهما مشتقة من الأخرى، فتقول: «الرّحل مشتق من الرحيل، والثور انما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب انما سمي ثوبا لأنه ثاب (اي رجع) لباسا بعد ان كان غزلا»[٣٨]

وقد انكر فريق آخر هذا النوع من الاشتقاق. ومنهم السيوطي الذي يقول: «وهذا مما ابتدعه الإمام ابو الفتح ابن جني، وكان شيخه ابو علي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة، ولا يصح ان يستنبط به اشتقاق في لغة العرب، وانما جعله ابو الفتح بيانا لقوة ساعده ورد المختلفات الى قدر مشترك، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ، وان تراكيبها تفيد اجناسا من المعاني مغايرة للقدر المشترك، وسبب اهمال العرب وعدم التفات المتقدمين الى معانيه ان الحروف قليلة وانواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى فخصوا كل تركيب بنوع منها، ليفيدوا بالتركيب والهيئات انواعا كثيرة ولو اقتصروا على تغاير المواد، حتى لا يدلوا على معنى الاكرام والتعظيم الا بما ليس فيه من حروف الايلام والضرب لمنافاتها لهما، لضاق الأمر جدا ولاحتاجوا الى الوف حروف المعاني لا يجدونها، بل فرقوا بين معتِق ومعتَق بحركة واحدة حصل بها تمييز بين ضدين»[٣٩].

---

٣٤ ـ الخصائص ٢/١٣٥ ـ ١٣٦.
٣٥ ـ يجعله قحلا (يابسا).
٣٦ ـ سورة الانشقاق ١٧.
٣٧ ـ الخصائص ٢/١٣٦ ـ ١٣٧.
٣٨ ـ المزهر ١/٣٥٤.
٣٩ ـ المزهر ١/٣٤٧.

وقد ايد هذا الفريق ابراهيم انيس، فاتّهم ابن جني بالتكلف والتعسف، لأنه «ان استطاع في مشقة وعنت ان يسوق لنا للبرهنة على ما يزعم بضع مواد من كل مواد اللغة التي يقال انها في جمهرة ابن دريد تصل الى اربعين الفا، وفي معجم لسان العرب تكاد تصل الى ثمانين الفا، فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لاثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير»[٤٠] وممن ذهب هذا المذهب محمد المبارك وعد الامثلة المذكورة في هذا الاشتقاق من باب القلب اللغوي اي تبديل مواقع الحروف مثل مدح وحمد.[٤١]

وهناك فريق ثالث، يتمثل في صبحي الصالح، وهو يبدي حيطة وحذراً بالغين. ويرد بعض هذه الأمثلة الى اللهجات، فجذب حجازية، وجبذ تميمية.[٤٢]. يقول: فان يك في وسعنا ان نرجع من هذه التقاليب الى ضرب من اختلاف اللهجات، وقد تحدثنا عنها فأطلنا الحديث، فهل نحكم على القلب اللغوي بقلة الجدوى؟ وهل نرى كل ما في الاشتقاق الكبير من عبث الهواة؟ وهل نعرض عن هذا اللون من البحث اللغوي الممتع لأنه لا يطرد ولا ينقاد؟»[٤٣] ونحن نعجب في النهاية كيف انه لم يمتنع عن القول: يظل بحث الاشتقاق الكبير يؤتي ثمره الى اليوم حتى ليمكن القول ان لغويي العرب لم يعرفوا انتاجا اعظم منه»[٤٤].

جـ - الاشتقاق الأكبر:

هو ان يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق ونهق،[٤٥] او هو اقامة حرف مكان آخر في الكلمة،[٤٦] او «هو ارتباط بعض المجموعات الصوتية ببعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالاصوات نفسها، بل بترتيبها الأصلي والنوع الذي تندرج تحته. وحينئذ متى وردت احدى تلك المجموعات الصوتية على ترتيبها

---

٤٠ - من اسرار اللغة ٦٨.
٤١ - فقه اللغة وخصائص العربية ١٠٦ وانظر الوجيز ٤٢٣.
٤٢ - دراسات في فقه اللغة ٢٠٣ حاشية ٣.
٤٣ - دراسات في فقه اللغة ٢٠٩، وانظر فقه اللغة وخصائص العربية ١٠٨.
٤٤ - المصدر السابق.
٤٥ - التعريفات ٢٧.
٤٦ - فقه اللغة - اميل بديع - ٢٠٥.

الأصلي، فلا بد ان تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء احتفظت باصواتها نفسها، ام استعاضت عن هذه الأصوات، او بعضها بحروف أخرى تقارب مخرجها الصوتي، او تتحد معها في جميع الصفات»[٤٧]، ومن امثلة هذا النوع طنّ ودنّ، ونعق وفهق، وجذم وجذل (قطع)، والسراط والصراط، واستبدال الدال بتاء الافتعال في نحو: ادّعى (اصلها ادتعى).

صلته بالاشتقاق:

اختلف العلماء حول هذا النوع من الاشتقاق، فعده بعضهم اشتقاقا، واخرجه بعضهم من هذه الدائرة.[٤٨] ويرى فؤاد ترزي.. ان الابدال اللغوي (الاشتقاق الأكبر) يتنافى وطبيعة الاشتقاق، ودليله:

١ - ان الاشتقاق، في اساسه، لا يهدف الى الترادف ولا يؤول اليه.

٢ - ان ابن جني الذي توسع في مفهوم الاشتقاق الى حد ادخل فيه القلب اللغوي، لم يعتبر الابدال ضربا منه، وكذلك السيوطي[٤٩] وغيرهما. وعنده ان الابدال ليس سوى ظاهرة صوتية تقوم على استبدال بعض الحروف ببعضها الآخر.[٥٠] ويقول ابراهيم انيس: حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على انها من الابدال حيناً، او من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في انها جميعا نتيجة التطور الصوتي، اي ان الكلمات ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين او نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها، نستطيع ان نفسرها على ان احدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها او تطور عنها، غير انه في كل حالة يشترط ان تلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه. ودراسة الأصوات كفيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها. اي ان القرب في الصفة

---

٤٧ - دراسات في فقه اللغة - ٢١٠.

٤٨ - فقه اللغة - اميل بديع - ٢٠٧.

٤٩ - المزهر ١ / ٤٦٠ وهو يعدها لغات مختلفة لمعان متفقة. تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا تختلفا الا في حرف واحد.

٥٠ - انظر فقه اللغة - اميل بديع - ٢٠٧.

والمخرج شرط اساسي في كل تطور صوتي». [51]

٤ ـ النحـــت:

والنحت هو احد وسائل تطوير اللغة واثرائها بالمفردات، وبه يتم تقديم كلمة جديدة من كلمتين فأكثر. فهو يزيد مفردات اللغة، إضافة الى انه يعد نوعا من الاختصار.

والنحت في اللغة هو النشر والبري والقطع. [52] قال تعالى: «وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين» [53] وفي الاصطلاح: ان ينتزع من كلمتين او اكثر، كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه. [54] وذلك ان تعمد الى عبارة «بسم الله»، فتنتزع منها كلمة «بسمل» التي تدل على معنى العبارة الأولى.

وقد يكون السبب في نشوء النحت انه «قد لا يستطيع السامع ان يفصل بين كلمتين وردتا الى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلا تاما. والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة، او صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج. [55] على ان العرب، في العصر الحديث، يقصدون قصدا الى نحت بعض الكلمات دون ان يكون ثمة خطأ في السمع. ومن امثلة ذلك:

برمائي = بر + ماء + يّ

درعمي = دار + العلوم + يّ

طحسني = طه + حسين + يّ

زمكان = زمان + مكان

وغيرها من الألفاظ التي تؤيد ما ذكر.

---

٥١ ـ من اسرار اللغة ٧٥.

٥٢ ـ لسان العرب ـ مادة نحت.

٥٣ ـ سورة الشعراء ١٤٩.

٥٤ ـ فقه اللغة اميل بديع ـ ٢٠٩، فصول في فقه العربية ـ رمضان عبد التواب ـ ٣٠١.

٥٥ ـ دور الكلمة ـ ستيفن اولمان ـ ١٤٠.

ويكون النحت ـ كما سبق ـ بانتزاع لفظة من لفظتين او اكثر. وعلى هذا تكون الألفاظ المنحوتة قليلة جدا. غير ان ابن فارس يرد اكثر الرباعي والخماسي الى باب النحت. يقول في مقاييس اللغة «اعلم ان للرباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه اهل النظر الدقيق، وذلك ان اكثر ما تراه منه منحوت»[٥٦] ومن امثلة المنحوت عنده «البُحْتُر» وهو: القصير المجتمع الخَلْق، فهذا منحوت من كلمتين: من الباء والتاء والراء، وهو من بترته فبُتِر، كأنه حُرِم الطول، فبُتِر خلقه. والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء، وهو من حَتَرْتُ وأَحْتَرْتُ، وذلك الا تُفضل على احد، يقال: أحتر على نفسه وعياله، اي ضيّق عليهم؛ فقد صار هذا المعنى في القصير، لأنه لم يُعط ما أعطيه الطويل»[٥٧] و «قول العرب للرجل الشديد ضِبَطْر من ضبط وضبر، وفي قولهم: صهصلق انه من صهل وصلق «الصوت الشديد». وفي الصلدم من الصلد والصدم»[٥٨].

موقف الباحثين منه:

يرى بعض الباحثين ان النحت هو نوع من الاشتقاق. وذهب عبدالله امين الى ابعد من ذلك فسماه الاشتقاق الكُبّار. وفي هذه المسألة انقسم العلماء ثلاثة فرق:

١ ـ فريق يرى انه يعود الى الاشتقاق، رغم قلة شواهده، «فان مراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعا منه: ففي كل منهما توليد شيء من شيء، وفي كل منهما فرع وأصل، ولا يتمثل الفرق بينهما الا في اشتقاق كلمة من كلمتين او اكثر على طريقة النحت».[٥٩]

٢ ـ فريق ثان يرى ان النحت ليس من الاشتقاق في شيء. وانما هو نوع من الاختصار.[٦٠] يقول ابراهيم انيس: «حين تقارن بين الاشتقاق وما يسميه القدماء بالنحت نلحظ ان الاشتقاق في اغلب صوره عملية اطالة لبنية الكلمات، في حين ان النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات.[٦١]

---

٥٦ ـ مقاييس اللغة ـ ٣٢٨/١.
٥٧ ـ المصدر السابق ٣٢٩/١.
٥٨ ـ المصدر السابق ٤٠١/٣.
٥٩ ـ دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ٢٤٣.
٦٠ ـ فقه اللغة ـ اميل بديع ـ ١٠٩.
٦١ ـ من اسرار اللغة ـ ٨٦، ٩٥.

٣ ـ فريق ثالث وقف موقفا وسطا فعد النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل.[٦٢]

وهناك من يرى ان اللغة العربية غير قابلة للنحت،[٦٣] وذلك بسبب قلة امثلة النحت فيها. وربما كان ذلك سببا لتردد مجمع اللغة العربية في جعله قياسيا، ولا يزال معظم اعضائه يرون الوقوف منه عند حد السماع[٦٤] ويميل بعض الباحثين الى موقف وسط، فهم يسمحون به حين تدعو الحاجة.[٦٥]

انـواع النحـــت:

يرد الباحثون النحت الى اربعة انواع:

١ ـ النحت الفعلي: وهو ما ينحت من الجملة دلالة على النطق بها او حدوث مضمونها. مثال الحالة الأولى:

بسمل: قال بسم الله
جعفل: قال جعلت فداك
حمدل: قال الحمدلله
سمعل: قال السلام عليكم
حيعل: قال حي على الصلاة حي على الفلاح
دمعز: قال ادام الله عزك
هيلل (هلل): قال لا اله الا الله
طلبق: قال اطال الله بقاءك
بأبأ: قال بأبي انت
جعفل: قال جعلت فداك
حوقل (حولق): قال لا حول ولا قوة الا بالله

---

٦٢ ـ فقه اللغة ـ اميل بديع ـ ٢١٠.
٦٣ ـ السابق ٢١٠ والرأي لأنيس فريحة.
٦٤ ـ من اسرار اللغة ٨٩.
٦٥ ـ من اسرار اللغة ٩١، اميل بديع ٢١٤، دراسات في فقه اللغة ٢٦٦، ٢٧٣.

مشكن: قال ما شاء الله كان

مشأل: قال ما شاء الله

كبتع: قال كبت الله عدوك

حسبل: قال سبحان الله

ومنه في الشعر (عمر بن ابي ربيعة)

لقـد بسملت ليـلى غـداة لقيتهـا فيـا حبـذا هـذا الحبيب المبسمـل

وقول الآخر:

فـداك من الأقـوام كـل مبخـل يحولق اما سأله العـرف سائـل

وقوله:

اقـول لهـا ودمـع الـعين جـار الم يحـزنـك حـيـعـلة المـنـادي

ومثال الحالة الثانية:

بعثر: بعث وأثار

تجمهر: جمع وهار اي جمع التراب على القبر

٢ - النحت النسبي: وهو ان تنسب شيئا او شخصا او فعلا الى اسمين. امثلة على الأول والثاني.

عبدري: عبد الدار

مرقسي: امرىء القيس

تيملي: تيم اللات

بلحارث: بني الحارث

بلعنبر: بني العنبر

بلهجيم: بني الهجيم

طبر خزيّ: طبرستان وخوارزم

عبدلي: عبدالله

حضرمي: حضرموت

عبقسي : عبد القيس
حنفلى : اي يذهب مذهب ابي حنيفة والمعتزلة

واما الفعل فقد اشتقوا من بعض هذه الكلمات المنسوبة افعالا نحو:

تحضرم اي انتسب الى حضرموت
تعبشم اي انتسب الى عبد شمس

٣ - النحت الاسمي : وهو ان ينحت من اسمين جامعا بين معنييها نحو:
جلمود: جلد + جمد
حبْقُرّ: حب قَرّ
عقابيل: عقبى الحُمّى وعقبى العلة. (بقايا العلة في الجسد).

٤ - النحت الوصفي : هو ان ينحت من كلمتين كلمة دلالة على صفة بمعناهما او اشد منه نحو:

ضبَطْر: من الضبط والضَبْر (الاكتناز)
صلدم (شديد الحافر): من الصلد والصدم
صهصلق: من الصهيل والصلق (وهو الصوت المرتفع).

اهـم طرق النحت:

١ - الصاق الكلمة بالأخرى، دون تغيير شيء بالحروف والكلمات. مثال:
بر + ماء = برمائي
لا + ادري = اللاأدرية

٢ - ابقاء احدى الكلمتين كما هي ، واختزال الأخرى نحو:
مُشَلْوَز اصلها مشمش ولوز. حذف قسم من الأولى وبقيت الثانية كاملة.

٣ - احداث اختزال متساو في الكلمتين، فيدخل حرفان منهما في الكلمة المنحوتة نحو:
تعبشم نحتت من عبد شمس. فدخل من الكلمة الأولى (ع ب)، ومن الثانية (ش م) فصارت تعبشم.

٤ - احداث اختزال غير متساو في الكلمتين نحو:

سبحل نحتت من سبحان الله، فدخل من الكلمة الأولى ثلاثة حروف (سبح) ومن الكلمة الثانية حرف اللام فقط.

٥ - حذف بعض الكلمات دون ان تترك في الكلمة المنحوتة اي اثر نحو:

طلبق: اي اطال الله بقاءك. فان كلمة (الله) قد حذفت تماما ولم يبق لها اي اثر في الكلمة المنحوتة.

ومثلها: هيلل، ودمعز.

شروط الكلمة المنحوتة[٦٦]

يشترط في الكلمة المنحوتة، كي تكون مقبولة انسجام حروفها عند تأليفها، وخضوعها لأحكام العربية، وصياغتها على وزن عربي. وللذوق دخل كبير في النحت فليس «كل لفظ منحوت مختزل يخف في الاسماع، وتكتب له السيرورة في المجتمعات، ولأن نقول: هذه السمكة من شائكات الزعانف خير واقرب الى الفهم من ان نقول: هي من الشَوْجنيات. . والذوق يمج وصف الحشرات بالمُسْجناحيات، بينما يرضى عن وصفها بمستقيمات الأجنحة. .[٦٧].

---

٦٦ - دراسات في فقه اللغة ٢٧٤، فقه اللغة - اميل بديع - ٢١٤.

٦٧ - دراسات في فقه اللغة ٣٢٤.

القسم الثاني

المعجم العربي

الوحدة السادسة: نشأة المعجم العربي وتطوره
الوحدة السابعة: معجمات الالفاظ (الصحاح والمعجمات التي نهجت نهجه، والأساس والمعجمات التي نهجت نهجه).
الوحدة الثامنة: معجمات المعاني (فقه اللغة للثعـالبي والمخصص لابن سيده).

الوحدة السادسة

نشأة المعجم العربي وتطوره

المعنى اللغوي لكلمة عجم:

يقول ابن جني: «اعلم ان عجم وقعت في كلام العرب للابهام والاخفاء وضد البيان والافصاح. فالعُجمة: الحُبسة في اللسان. ومن ذلك رجل اعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يُفصحان ولا يبينان كلامهما. والأعجم الأخرس. والعجم والعجمي: غير العرب لعدم إبانتهم اصلاً. واستعجم القراءة: لم يقدر عليها لغلبة النعاس عليه. والعجماء: البهيمة لأنها لا توضح ما في نفسها. واستعجم الرجل: سكت، واستعجمت الدار عن جواب سائلها سكتت»[1].

يتضح من استعمال مشتقات كلمة عجم انها لا تفيد الوضوح، وإنما تدل على الغموض، فكيف يكون المعجم من مشتقاتها؟ والمعروف ان من اهدافه الأساسية التيسير والتسهيل!. يقول ابن جني: «اعلم ان اعجمتُ وزنه افعلتُ، وأفعلتُ هذه وإن كانت في غالب امرها تأتي للاثبات والايجاب نحو اكرمتُ زيداً، اي أوجبت له الكرامة، فقد تأتي أفعلتُ ايضاً يراد بها السلب والنفي، وذلك نحو اشكيت زيداً، اي ازلت له ما يشكوه، وكذلك قولنا اعجمت الكتاب أي أزلت عنه استعجامه».[2]

المعجم بالمعنى العلمي:

هو كتاب يضم اكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على ان تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً إما على حروف الهجاء او الموضوع.[3]

---

١ - ابن جني، سر صناعة الاعراب ١/٤٠ وانظر معجم العين، لسان العرب، تاج العروس: مادة عجم.

٢ - سر صناعة الاعراب ١/٤٠، وانظر ايضا الخصائص ٣/٧٥ - ٧٦، شرح الرضي على الشافية ١/٩١، المزهر ١/٢٣٠.

٣ - احمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح ١/٣٨.

والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها.[٤]

وقد ذهب الدكتور ابراهيم السامرائي[٥] الى انه لم يطلق على المعجم اسم المعجم الا في أواخر القرن الرابع الهجري، اما قبل ذلك فهو كتاب، وأول معجم بهذا الاسم معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس.

وقد استعمل بعض اللغويين الذين حاولوا جمع اللغة كلمة قاموس بدلا من كلمة معجم. وكلمة قاموس كانت تعني البحر. وقد حرص بعض اللغويين على اطلاق اسم البحر او صفة من صفاته على مؤلفاتهم. فقد اطلق الصاحب بن عبّاد على معجمه اسم المحيط، وأطلق ابن سيده على معجمه اسم المحكم او المحيط الأعظم، وسمى الصاغاني معجمه العباب او مجمع البحرين. وأطلق الفيروز آبادي المتوفى ٨١٦ هـ على معجمه اسم القاموس المحيط. وقد اسهم احمد فارس الشدياق المتوفى ١٨٨٧ م في شيوع كلمة قاموس بمعناها المولّد، اي بمعنى كلمة معجم عندما وضع كتابه «الجاسوس على القاموس».[٦]

اهمية المعجم وفوائد استعماله:

١ - المحافظة على سلامة اللغة.
٢ - جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون.
٣ - الكشف عن معاني الألفاظ المجهولة والغامضة.
٤ - معرفة ظواهر لغوية كالمشترك اللفظي والأضداد.
٥ - معرفة اصل اللفظ واشتقاقاته.
٦ - تاريخ اللفظ وتطوره واختلاف استعماله.
٧ - معرفة كون اللفظة عامية او فصيحة.
٨ - الوقوف على ألفاظ مهجورة غير مستعملة.

---

٤ - المصدر نفسه ١/٣٨.
٥ - محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص ٢٢٢.
٦ - إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية، ص ١٣.

٩ ـ العثور على شاهد من الشواهد اللغوية والنحوية.
١٠ ـ معرفة قائل شاهد من الشواهد.
١١ ـ ضبط اللفظة ضبطاً صحيحاً في أصلها وتصاريفها.

الكشف عن معاني الألفاظ في المعاجم:

تختلف المعاجم في طرق ترتيبها وتبويبها،[1] ومع ذلك فان هناك امورا عامة لا بد من مراعاتها قبل الكشف عن معنى الكلمة في المعجم، وهي:

١ ـ الكلمة المجردة يمكن ان نبحث عنها مباشرة، مثل: كتب، قرأ، درس.
٢ ـ الكلمة المزيدة تجرّد من حروف الزيادة وتردّ الى اصلها، مثل استعجم، نجرّدها من الحروف الزائدة أ، س، ت، ونبقي الجذر الثلاثي عجم.
٣ ـ الجموع تردّ الى مفرداتها، ثم يجرد المفرد ان كان مزيداً، مثل كلمة متعلمين، فإن مفردها متعلم، وعندما نجردها من حروف الزيادة يبقى الجذر علم.
٤ ـ الأفعال المضارعة وافعال الأمر ترد الى ماضيها، ثم يجرد الماضي ان كان مزيدا، مثل يكتبون ترد الى كتبوا ثم تجرد فيبقى الجذر الثلاثي كتب.
٥ ـ الكلمة التي يوجد فيها حرف غير اصلي يرد الى اصله، مثل سما فالألف فيها منقلبة عن واو، وعندما ترد الى اصلها تصبح سَمَوَ.
٦ ـ الكلمات المشددة نفك تشديدها، مثل مدّ يُفَكّ تشديدها فتصبح مدد.

أنواع المعاجم اللغوية:

المعاجم اللغوية نوعان:

النوعِ الأول: يعالج اللفظة فيشرح مدلولها وجميع ما يتصل بها، ويتخذ لها

---

٧ ـ معظم المعاجم تتبع الطريقة الهجائية في تصنيف موادها، وهي تجعل الكلمات في ثمانية وعشرين بابا يختص كل باب منها بحرف من حروف الهجاء. وتتوالى المواد متسلسلة حسب الترتيب الهجائي المعروف أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي. ثم تتوالى الكلمات في كل باب وفقا للحرف الثاني والثالث. وتعتمد بعض المعجمات في ترتيب مفرداتها على الحرف الأول من الكلمة مثل اساس البلاغة ومدرسته، بينما يعتمد بعضها الآخر على الحرف الأخير مثل الصحاح ومدرسته.

منهجاً خاصاً في ترتيب الألفاظ، وهذا النوع من المعاجم يسمى معاجم الألفاظ. ومنها معجم العين للخليل بن أحمد والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، واساس البلاغة للزمخشري.

النوع الثاني: يجمع الألفاظ التي تدور حول معنى واحد او موضوع واحد، ويسمى معجم المعاني او معجم الموضوعات. ومنها كتاب فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده. (٨)

نشأة المعجم العربي:

لقد جرى جمع الفاظ اللغة العربية على مراحل ثلاث هي: (٩)

المرحلة الأولى: هي مرحلة تدوين الفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب. وقد جرى هذا الجمع بفضل نشاط الرواة والعلماء منذ اواخر القرن الهجري الأول وخلال القرن الثاني، وكان السماع عن الأعراب، والاتصال المباشر بهم في صحرائهم او حين قدومهم الى الأمصار من المصادر الأساسية التي اعتمدها الرواة في جمع اللغة. اما مصادرهم الأساسية الأخرى التي استنبطوا منها مفردات اللغة فهي القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر القديم.

ولعل كتاب «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري من افضل ما بين ايدينا من كتب لغوية تمثل هذه المرحلة؛ فالمؤلف يورد فيه النصوص الشعرية والنثرية الملأى بالمفردات الغريبة النادرة فيشرحها، ويعلق عليها بعض التعليقات اللغوية من غير ترتيب في ايراد النصوص او ربط بين معاني الألفاظ.

---

٨ - توجد انواع اخرى من المعاجم ابرزها.
معاجم الترجمة: وتسمى المعاجم المزدوجة او ثنائية اللغة.
معاجم التخصص: وهي تجمع الفاظ علم او فن معين ومصطلحاته.
معاجم اللهجات: وهي تضم مفردات لهجة معينة ضمن لغة معينة.
المعاجم المصورة: وهي تثبت صور الحسيات التي تتضمنها.
دوائر المعارف: وهي تمثل سجلا للعلوم والفنون وغيرها مثل دائرة المعارف الاسلامية، ودائرة المعارف الطبية.

٩ - ضحى الاسلام ٢/٢٦٣ - ٢٦٦. ويقول الدكتور حسين نصار (المعجم العربي ١/٣٥): على الرغم من عدم موافقتي على كثير من عبارات احمد امين، اوافقه في وجود هذه المراحل مع مراعاة عدم وجود فواصل كبيرة بين مرحلة واخرى.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة تدوين الفاظ اللغة مرتبة في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع، مبنية على معنى من المعاني او على حرف من الحروف. من ذلك كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري. وللأصمعي عدة كتب في ذلك منها: كتاب الابل، وكتاب الخيل، وكتاب الشاء، وكتاب اسماء الوحوش وصفاتها، وكتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر.

وهناك رسائل اخرى جمعت فيها الألفاظ لا بحسب معانيها بل تبعا لأحد حروف اصولها، وهي تحمل عادة اسم الحرف الذي يجمع بين هذه الأصول، فيقال كتاب الخاء وكتاب الجيم وهلم جرا. ومن اشهر ما وصل الينا من رسائل هذا النوع كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

وهناك نوع ثالث من هذه الرسائل جمعت فيها الألفاظ التي تربط بينها رابطة اخرى غير رابطة المعاني او الحروف. من ذلك الكتب التي الفت في الأضداد. وقد جمعت فيها الألفاظ التي يستعمل كل منها للدلالة على الشيء وضده، مثل الجون الذي يطلق على الأسود والأبيض، والفعل شرى الذي يدل على البيع والشراء.

ومن ذلك ايضا ما ألف في مثلث الكلام. وهي رسائل عديدة جمعت فيها الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، كأن نقول الغَمْر (الماء الكثير) والغِمْر (الحقد) والغُمْر (الرجل الجاهل). ومن اشهر ما الف في هذا الباب مثلثات قطرب.

ومن ذلك الرسائل المختلفة التي جُمعت فيها الأفعال ذات الاشتقاق الواحد ككتاب فعل وأفعل لقُطرب، وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة. واول من وضع معجماً هو الخليل بن احمد الفراهيدي. وكان الدافع الأساسي الذي دفع اللغويين الى وضع معجماتهم هو خدمة القرآن ونصوص التشريع، وصون اللغة من الخطأ، وحفظها من الضياع. وفي ذلك يقول ابن خلدون: «فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل

بالقرآن والحديث، فشمّر كثير من ائمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين». [١٠]

تطور المعجم العربي:

مرّ المعجم العربي في تطوره في خمس مراحل هي: [١١]

١ ـ مرحلة النظام الصوتي ونظام التقليبات.
٢ ـ مرحلة النظام الألفبائي الخاص.
٣ ـ مرحلة نظام القافية.
٤ ـ مرحلة النظام الألفبائي العادي.
٥ ـ مرحلة النظام الألفبائي النطقي (بدون تجريد).

وفيما يلي شرح لكل مرحلة:

١ ـ المرحلة الأولى في تطور المعاجم العربية: الترتيب الصوتي ونظام التقليبات. [١٢]

اول من ابتدع هذا النظام الخليل بن احمد المتوفى ١٧٥ هـ تقريبا في معجمه العين. وقد رتبت فيه الألفاظ حسب مخارج الحروف مع مراعاة اوائل الأصول. فكلمة (عقد) في باب العين، وكلمة (خلف) في باب الخاء، وهكذا.

ولم يرتب الخليل ابواب كتابه حسب الترتيب الهجائي المعروف أ، ب، ت، ث، ج. . الخ، بل حسب ترتيب مخارج الحروف، فبدأ بحروف اقصى الحلق، وانتهى بحروف الشفتين، ثم ختم كتابه بحروف العلّة، مما جعل ترتيب الكتاب على الشكل التالي:

الحروف الحلقية (ع، ح، هـ، خ، غ)، ثم اللهوية (ق، ك)، ثم الشجرية (ج، ش، ض). فالأسليه (ص، س، ز)، فالنطعية (ط، د، ت)، فاللثوية (ظ،

---

١٠ ـ مقدمة ابن خلدون ٤٨٤.
١١ ـ هذه المراحل لم تتميز زمانيا، بمعنى ان المعاجم المنتمية الى مرحلة من هذه المراحل قد تكون موضوعة قبل معاجم اخرى تنتمي الى مرحلة سابقة.
١٢ ـ إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية، ص ٣٧ ـ ٦٧، عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص ١٦٥ ـ ١٨٥.

ذ، ث)، فالذلقية (ر، ل، ن، ف، ب، م)، فالهوائية (و، ا، ي). [13]

كما انه اتبع الطريقة نفسها في ترتيب مفردات كل باب على حدة. فلفظة (عقل) في باب العين قبل (عقف)، و(عقف) قبل (عقب)، و(عقب) قبل (عكر)، وهكذا.

وقد بدأ الخليل معجمه بحرف العين لأنه من اقصى حروف الحلق، وباسم باب العين الذي هو الجزء الأول من المعجم سمي الكتاب كلّه.

ومن خصائص طريقة الخليل في العين انه لم يكن يكتفي بان يذكر في كل باب الكلمات المبتدئة بحرف معين، بل كان يذكر ايضا بعد كل مادة مبتدئة بهذا الحرف الكلمات التي تنتج عن تقليب موضع هذا الحرف في الأصل المذكور. فهو اذا ذكر مثلا مادة (عقل) في باب العين وشرحها، انتقل بعدها الى المواد الآتية: علق، لقع، لعق، قلع، قعل، وهو ما اصطلح لغويو العرب على تسميته بالاشتقاق الكبير.

وقد اصبح ترتيب الخليل للحروف حسب مخارجها، ونظامه في التقليبات سمة مرحلة مميزة من مراحل التأليف المعجمي، وكان من تلامذتها كثيرون لعل اهمهم.. [14]

١ ـ الأزهري في معجمه تهذيب اللغة.
٢ ـ القالي في معجمه البارع.
٣ ـ ابن سيده في معجمه المحكم.
٤ ـ الزبيدي في معجمه مختصر العين.

ومن المآخذ على معاجم هذه المرحلة صعوبة البحث فيها، ومشقة الاهتداء الى اللفظ المراد، واستنفاد الوقت الطويل من الباحث بسبب الترتيب على المخارج والأبنية والتقاليب. ولعل تلك الصعوبة هي السبب الأول في قيام المدرسة الثانية من المعجمات، اذ احس القدماء بها، فحاولوا تيسيرها والتخلص منها. قال ابن دريد ـ رأس المدرسة الثانية ـ في مقدمة معجمه «جمهرة اللغة»: «قد الف الخليل بن احمد

---

١٣ ـ انظر جدول مخارج الحروف في الوحدة الأولى من الكتاب.

١٤ ـ حسين نصار، المعجم العربي ٢١٧/١ ـ ٣٩٣، سامي مكي العاني، المكتبة، ص ٤٧ ـ ٧١.

كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعنّى من سما الى نهايته..»[١٥]

نموذج من معجم العين

حرف العين
الثنائي المضاعف
باب العين مع الحاء والهاء والخاء والغين

قال الخليل بن احمد: ان العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجَيْهما الا ان يُشتق فعلٌ من جمعٍ بين كلمتين مثل «حيَّ على» كقول الشاعر:

ألا ربّ طيفٍ بـات منـكِ مُعـانقي   إلى أن دعـا داعي الفلاح فَحَيْعـلا

يريد «قال: حيّ على الفلاح» أو كما قال الآخر:

فبـات خيـال طيفـكِ لي عـنيقـاً   إلى أن حَيْعـل الـداعي الفـلاحـا

أو كما قال الثالث:

أقـول لهـا ودمـع الـعـين جـارٍ   ألم يَحْـزُنْـكِ حَـيْـعَـلةُ المـنـادي

فهذه كلمة جُمعتْ من «حيّ» ومن «على». وتقول: «حَيْعَلَ يُحَيْعِلُ حَيْعَلَةً، وقد اكثر من الحيعلة «من قول «حيّ على»، وهذا يشبه قولهم: «تَعَبْشَمَ الرجلُ وتعبقس ورجلٌ عبشميّ» إذا كان من عبد شمس او من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلاً، قال:

وتضحـك مني شيخـة عبـشميّـة   كـأن لم تـرى قبـلي أسيـراً يمـانيـا

نسبها الى عبد شمس، فأخذ العين والباء من «عبد»، وأخذ الشين والميم من «شمس» واسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النحت وهو من الحُجَّة، لقولهم: حَيْعَل حيعلةً، فإنها مؤخوذة من كلمتين (حيَّ، على).

---

١٥ ـ مقدمة جهرة اللغة، ص ٣.

وما وجد من ذلك فهذا بابه، والا فان العين مع هذه الحروف: الغين والهاء والحاء والخاء مهملات.

٢ ـ المرحلة الثانية في تطور المعاجم العربية: النظام الألفبائي الخاص.[١٦]

ويمثل هذه المرحلة ثلاثة معاجم هي:

١ ـ جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي المتوفى ٣٢١ هـ.[١٧]
٢ ـ مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى ٣٩٥ هـ.[١٨]
٣ ـ المجمل لابن فارس ايضاً.[١٩]

ويلاحظ على هذه المعاجم الثلاثة انها لم تتبع نظام ترتيب الحروف حسب مخارجها، بل اتبعت نظاما جديدا هو ترتيب الكلمات على الألف باء، غير انها لم تتخلص من التقاليب ومن الأبنية التي اشاعت الصعوبة في المعاجم السابقة.

نموذج من معجم مقاييس اللغة لابن فارس

جعف: الجيم والعين والفاء أصل واحد، وهو قَلْع الشيء وصَرْعه، يقال جعفت الرجلَ اذا صرعته بعد قلعك إياه من الأرض. والانجعاف: الانقلاع تقول انجعفت الشجرةُ. وفي الحديث «مثل المنافق مثل الأرْزة المُجْذية على الأرض حتى يكون انجعافها مرّة» وجُعفيّ قبيلة.

جعل: الجيم والعين واللام كلمات غير مُنْقاسة، لا يشبه بعضها بعضاً. فالجعل النخل يفوت اليد، والواحدة جَعْلة. وهو قوله: او يستوي جثيثها وجَعْلُها.

والجَعْوَل: ولد النعام. والجعال: الخِرقة التي تُنزل بها القدر عن الأثافي. والجُعْل والجعالة والجعيلة: ما يجعل للانسان على الأمر يفعله. وجعلتُ الشيء صنعتُه. قال الخليل: إلا أن جعل أعمّ، تقول جعل يقول، ولا تقول صنع يقول. وكلبة مُجْعِل إذا ارادت السِّفاد. والجُعَلَة: اسم مكان. قال:

---

١٦ ـ إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية ٧٥ ـ ٩٥، عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ١٨٦ ـ ١٩٦.
١٧ ـ حسين نصار، المعجم العربي ٢/٤٠٤ ـ ٤٣٣، المعاجم اللغوية العربية ٧٨ ـ ٨٤.
١٨ ـ حسين نصار، المعجم العربي ٢/٤٣٥ ـ ٤٦٥، المعاجم اللغوية العربية ٨٥ ـ ٩٠، عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية ٣٤٧ ـ ٣٥٧.

وبعدها عام ارتبعْنا الجُعَلهْ

فهذا الباب كما تراه لا يشبه بعضه بعضاً.

جعم: الجيم والعين والميم اصلان: الكِبَر، والحرص على الأكل: فالأول قول الخليل: الجمعاء من النساء التي انكر عقلها هرما، ولا يقال رجل أجعم. ويقال للناقة المسنة الجعماء. والثاني قول الخليل وغيره: جَعِمت الابل، اذا لم تجد حَمْضاً ولا عضاهاً فقضمت العظام وذلك من حرصها على ما تأكله.

قال الخليل: جَعِم يجعَم جَعَماً، إذا قَرِم الى اللحم. وهو في ذلك كله أكول. ورجل جَعِم وامرأة جَعِمة، وبها جَعَم أي غلَظ كلام في سعة حلق. وقال العجاج:

إذ جَعِمَ الذُّهْلان كلَّ مَجْعَم

أي جَعِموا الى الشر كما يُقرِم الى اللحم. هذا ما ذكره الخليل، فأما أبو بكر فإنه ذكر ما ارجو ان يكون صحيحاً، وأراه قد املاه كما ذكره حفظاً، فقال: جَعِم يَجْعَمُ جَعَماً إذا لم يشتهِ الطعام. قال: وأحسبه من الأضداد؛ لأنهم ربما سموا الرجل النَّهِم جَعِماً. قال: ويقال جُعِم فهو مجعوم اذا لم يشته ايضاً. هذا قول ابي بكر، واللغات لا تجيء بأحسب واظن. فأما قوله جَعَمتُ البعير مثل كَعَمْتُه، فلعله قياس في باب الابدال استحسنه فجعله لغة. والله اعلم بصحته.

٣ - المرحلة الثالثة في تطور المعاجم العربية: نظام القافية.[٢٠]

اول من ابتدع هذا النظام الجوهري المتوفى ٤٠٠ هـ تقريباً في معجمه الصحاح، وهو يقوم على ترتيب المواد حسب النظام الألفبائي مع اعتبار اواخر الأصول. فكلمة استعلامات مثلا في باب الميم فصل العين لأن الأصل علم. وكلمة كاتب نجدها في باب الباء فصل الكاف لأن الأصل كتب، وهكذا.

ومن معاجم هذه المرحلة لسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والعباب.

---

١٩ - حسين نصار، المعجم العربي ٢/٤٦٦ - ٤٧٦.

٢٠ - المعاجم اللغوية العربية ٩٧ - ١٢٧، مصادر التراث العربي ١٩٧ - ٢٠٧، سامي مكي العاني، المكتبة ٧٢ - ٩٢.

أ ـ نموذج من الصحاح: (فصل الثاء من باب الهمزة)

ثأثأ: ثأثأت الابل: اذا ارويتها، قال الراجز:

إنك لن تثأثىء النِّها لا بمثل ان تداركَ السِّجالا

الأصمعي: ثأثأت عن القوم: دفعت عنهم. ولقيت فلاناً فتثأثأت منه، أي: هبته.
أبو عمرو: أثأته بسهم إثاءة: رميتُه، والكسائي مثله.

ثدأ: الثُّنْدُؤة للرجل بمنزلة الثدي للمرأة. وقال الأصمعي: هي مغرز الثدي.
وقال ابن السكيت: هي اللحم الذي حول الثدي، اذا ضممت اولها همزت ـ فتكون فُعْلُلَةً وإذا فتحته لم تهمز، فيكون فَعْلُوَة مثل: قَرْنُوَةٍ وعرقُوَةٍ.

ثطأ: ثطىء ثطأً: حُمِّق.

ثفأ: الثُّفَّاء على مثال القُرَّاء: الخردل. ويقال: هو الحُرْف: وهو فُعّال، الواحدة ثُفّاءة.

ثمأ: الكسائي: ثَمأت القوم: اطعمتهم الدسم، وثمأت رأسه: شدخته.
وثمأت الخبز: ثردته.

ب ـ نموذج من اللسان: (فصل الثاء من باب الهمزة)

ثأثأ: ثأثأ الشيء عن موضعه: أزاله. وثأثأ الرجل عن الأمر: حبس. ويقال:
ثَأثِىءْ عن الرجل: أي احبس. والثأثأة: الحبس. وثأثأت عن القوم: دفعت عنهم،
وثأثأ عن الشيء: اذا أراده ثم بدا له تركه او المقام عليه.

أبو زيد: تثأثأتُ تثأثُؤاً: اذا اردتُ سفراً ثم بدا لك المُقام. وثأثأ عنه غضبه:
اطفأه.

ولقيت فلاناً فتثأثأت منه: اي هِبْتُه. وأثأته بسهم أثاءةً: رميتُه.

وثأثأ الابل: ارواها من الماء، وقيل: سقاها فلم ترو. وثأثأت هي، وقيل
ثأثأتُ الابلَ اي سقيتُها حتى يذهب عطشها، ولم أروها. وقيل ثأثأت الابل:
أرويتُها، وأنشد المفضّل:

إنك لن تُشَأْثِىءَ النِّهالا   بمثل أن تُدارِكَ السِّجالا

وثأثأ بالتيس: دعاه، عن أبي زيد.

ثدأ: الثُّداء نبت له ورق كأنه ورق الكُراث وقضبان طوال تدقّها الناس، وهي رطبة، فيتخذون منها أرْشِيَةً يسقون بها، هذا قول ابي حنيفة. وقال مرة: هي شجرة طيبة أصولها بيض حلوة، ولها نوْر مثل نور الخِطْمي الأبيض، في اصلها شيء من حمرة يسيرة. قال: وينبت في اضعافه الطراثيث والضغابيس، وتكون الثُّدّاءة مثل قعدة الصبي.

الثندوة للرجل: بمنزلة الثدي للمرأة، وقال الأصمعي: هي مغرز الثدي، وقال ابن السكيت: هي اللحم الذي حول الثدي، اذا ضممت اولها همزت، فتكون فُعْلُلة، فإذا فتحته لم تهمز، فتكون فَعْلُوة مثل تَرْقُوة وعَرْقُوة.

ثرطأ: الثِّرطِئة، بالهمز بعد الطاء: الرجل الثقيل، وقد حكيت بغير همز وضعاً، قال الأزهري: ان كانت الهمزة اصلية فالكلمة رباعية، وان لم تكن اصلية، فهي ثلاثية، والعِرْقِىء مثله. وقيل الثِّرطئة من النساء والرجال: القصير.

ثطأ: ابن الأعرابي: ثطأ اذا خطا. وثطىء ثطأً: حَمُق. وثطأته بيدي ورجلي حتى ما يتحرك اي وطِئْت، عن أبي عمرو.

والثطأة: دُوَيبة لم يحكها غير صاحب العين. أبو عمرو: الثُّطْأة: العنكبوت.

ثفأ: ثفأ القِدْر: كسر غليانها. والثُّفَّاء على مثال القُرّاء: الخردل، ويقال الحُرْف، وهو فُعّال، واحدته ثُفّاءة بلغة اهل الغور، وقيل بل هو الخردل المعالج بالصّباغ، وقيل: الثّفاء: حبّ الرشاد؛ قال ابن سيده: وهمزته تحتمل ان تكون وضعاً وان تكون مبدلة من ياء او واو، الا انا عاملنا اللفظ اذ لم نجد له مادة. وفي الحديث ان النبي ﷺ قال: ماذا في الأمرَّيْن من الشفاء الصبر والثّفاء، هو من ذلك. الثّفاء: الخردل، وقيل الحُرْف، ويسميه اهل العراق حبّ الرشاد، والواحدة ثُفّاءة، وجعله مرّاً للحروفة التي فيه ولذْعه اللسان.

ثمأ: الثَّمْءُ: طرحك الكمْءَ في السمن.

ثمأ القوم ثمأً: أطعمهم الدسم. وثمأ الكمأة يثمؤها ثمأً: طرحها في السّمن. وثمأ الخبز ثمأً: ثرده، وقيل زرده. وثمأ رأسه بالحجر والعصا ثَمْأً فانثمأ: شدخه وثرده. وانثمأ التمر والشجر كذلك. وثمأ لحيته يثمؤها ثمأً: صبغها بالحنّاء. وثمأ أنفه: كسره فسال دماً.

٤ - المرحلة الرابعة في تطور المعاجم العربية: الترتيب الألفبائي حسب اوائل الأصول. (٢١)

وهو يقوم على تنظيم مفردات المعجم وفق اوائل اصولها وحسب الترتيب الهجائي المعروف. ويقال ان الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ هو مبتدع هذا النظام في معجمه «أساس البلاغة».

وقد اتبعت هذا النهج جلّ المعاجم الحديثة مثل محيط المحيط، والمنجد، والمعجم الوسيط.

أ - نموذج من اساس البلاغة

سلخ: سلخ الشاة، وكشط مسلاخها: إهابها، وأعطاني مسلوخة: شاة سُلخ جلدها. وأرقّ من سِلخ الحيّة ومِسلاخها. وأسود سالخ. وانسلخ جلده وتسلّخ.

ومن المجاز: سلخْنا الشهر وانسلخ الشهر، قال:

إذا مـا سلختُ الشهرَ اهلكت مثلَهُ كفى قـاتلاً سلخي الشهـورَ وإهـلالي

وسلخ الله النهار من الليل وانسلخ منه. وسلخت عنها درعها. وسلخ الجرّ والجرب جلده. وفلان حمار في مسلاخ انسان.

---

٢١ - المعاجم اللغوية العربية ١٣٣ - ١٥٥، المكتبة ٩٥ - ١٠٠.

ب- نموذج من المنجد[22]

سلخ : سلخ سلخاً الخروف: كشط جلده. ـ المرأة درعها: نزعته. ـ الحيةُ: انكشفت عن سلحتها ونزعتها. ـ الحيةُ: انكشفت عن سلحتها ونزعتها. ـ الله النهارَ من الليل: استلّه. ـ الشهرُ: مضى. ـ الرجلُ الشهرَ: أمضاه وصار في آخره.

سلّخ الحرُّ جلده: كشطه.

انسلخ من ثيابه: تجرّد. ـ الشهر من سنته: مضى. ـ النهار من الليل: انسلّ. ـ الحيّةُ من قشرها: خرجت.

تسلّخ جلده: انسلخ.

سَلْخ الشهر ومنسلخه وآخره.

سَلْخ الحية وسِلخها وسَلختها: قشرها.

السِّلْخ : ما على المغزل من الغزل.

السَّلِخ : المسلوخ.

السّلاخة في الشيء: ان لا يكون له طعم.

السُّلخة الولد. دهن ثمر البان قبل ان يُرَبَّب. ـ من شجر الرِّمث ونحوه: ما ليس فيه مرعى بل هو خشب يابس.

السالخ : جرب يكون في الجمل يُسلخ منه. صفة للأسود من الحيّات لأنه ينسلخ جلده كل عام. والأنثى اسودة مأخوذة مأخذ الموصوفات كأرنبة ولا توصف بسالخة. ولا يثنّى سالخ في الصفة بل يقال اسود سالخ واسودان سالخ وفي الجمع اساود سالخة وسوالخ وسُلّخ وسُلّخة.

---

٢٢ ـ رموز المنجد:

فا ـ اسم فاعل.

مفع ـ اسم مفعول.

ج ـ الجمع.

جج ـ جمع الجمع.

مص ـ المصدر.

م ـ المؤنث.

مث ـ المثنى.

مع ـ معروف.

الأسلخ: الأصلع. الشديد الحمرة.
السلّاخ: الكثير السلخ.
المسلخ: موضع السَّلْخ.
المسلاخ: قشر الحية الذي تنسلخ منه. الاهاب. ـ من النخل: الذي ينتثر بسرها وهو اخضر.
مُنْسَلَخ الشهر: آخره.

جـ ـ نموذج من المعجم الوسيط[٢٣]

سَلَخَتْ الحيّةُ سُلوخاً: انكشفت عن جلدها، وسلخ الشهرُ ونحوه: مضى. و ـ النباتُ: اخضرّ بعد اليُبْس. و ـ الجلدَ سلخاً: كشطه ونزعه. ويقال: سلخ الحرّ او الجربُ الجلدَ: كشطه او احرقه، و ـ ثيابه: خلعها ونزعها. و ـ الله النهارَ من الليل، أو الليل من النهار: كشفه وفصله. وفي التنزيل العزيز: «وآيةٌ لهم الليلُ نسلخُ منه النهار فإذا هم مظلمون». و ـ فلاناً: آذاه بكلامه. و ـ فلان شهره ونحوه: امضاه وصار في آخره. و ـ الريحُ ما مرّت به: جرفته. و ـ الكلامَ: أزال بعضه وأحلّ مكانه آخر مرادفاً له في المعنى. و ـ موضع الماء: حفره.

سَلُخ الطعام والشرابُ ـ سَلاخةً: لم يكن له طعم. فهو سليخ.
سلَّخه: سَلَخَه.
انسلخ: انكشف.
تسلَّخ: انسلخ.
الأسلخ: الأصلع. و ـ الشديد الحمرة. (ج) سُلْخ.
السّالخ: من الحيّات: الأسود الشديد السواد. يقال: اسود سالخ (ولا يقال للأنثى سالخة، وانما يقال: أسودة) وهو اقتل ما يكون من الحيّات، سمّي بذلك لأنه يسلُخُ جلدَهُ كل عام. (ج) سوالخ، وسُلَّخ. و ـ جَرَبٌ يسلخ جلود الجمال ونحوها.
السِّلاخة: حرفة السلّاخ.

---

٢٣ ـ من رموز المعجم الوسيط: ج ـ لبيان الجمع. مع ـ للمعرّب. د ـ للدخيل. مج ـ للفظ الذي اقره مجمع اللغة العربية. محدثة ـ للفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث. و ـ : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد. ـُ/ـَ ـ لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التي توضع فوقها او تحتها.

السَّلْخ: الجلد المسلوخ. و ـ آخر الشهر.
السِّلْخ: الجلد المسلوخ. (ج) سُلوخ وأسلاخ.
السَّلَخ: ما على المِغْزل من الغزل.
السَّلْخة: المرة من السَّلخ. و ـ القطعة تُسلخ من الشيء. ومنه: السلخة (في اصطلاح المطبعة): الجزء من الصفحة قبل الطبع. (محدثة).
السِّلْخة: هيئة السَّلخ.
السَّلاّخ: الكثير السَّلخ. و ـ من حرفته سلخ الجلود.
السَّليخ: المسلوخ. و ـ ما لا طعم له. يقال: سليخ مليح.
السَّليخة: المولود. و ـ من العطر: شيء كأنه قشر منسلخ ذو شعب. و ـ من البان: دهن ثمرة قبل ان يُرَبَّب بأفاويه الطِّيب.
المِسْلاخ: النخلة التي ينتشر بُسْرُها وهو أخضر. و ـ الجلدُ. ويقال في المدح او الذم: هو مَلَكٌ او حمار في مسلاخ إنسان. (ج) مساليخ.
المَسْلخ: مكان سلخ الجلود. (ج) مسالخ. المَسْلخة: المَسْلخ.

٥ ـ المرحلة الخامسة في تطوّر المعاجم العربية ـ الترتيب النطقي (دون تجريد)[٢٤].

ويقوم هذا النظام على ترتيب المفردات حسب نطقها لا حسب جذورها. ومن اشهر معاجم هذه المرحلة:

١ ـ المرجع ـ عبدالله العلايلي، صدر ١٩٦٣.
٢ ـ الرائد ـ جبران مسعود، صدر ١٩٦٤.
٣ ـ المنجد الأبجدي ـ فؤاد افرام البستاني، صدر ١٩٦٧.
٤ ـ لاروس ـ خليل الجر، صدر ١٩٧٣.

ويرى اصحاب هذه المدرسة ان مراعاة اصول الكلمات في ترتيب مواد المعجم مهما كان النظام المتبع في الترتيب فيه من الصعوبة الشيء الكثير وبخاصة بالنسبة

---

٢٤ ـ إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية ١٦١ ـ ١٧٦.

لطلاب المدارس، اذ على الذي يبحث في معنى كلمة ان يتقن المهارات الثلاث التالية:

١ ـ تجريد الكلمة من الحروف الزوائد.

٢ ـ ارجاع الحروف اللينة الى اصلها.

٣ ـ اعادة الحروف المحذوفة.

ولا شك في ان اتقان هذه المهارات فيه من الصعوبة ما يتعذر على الطالب ادراكه ومتابعته، وبخاصة بالنسبة لكثير من الكلمات، نحو نساء التي نجدها في مادة مرؤ، ومنطاد التي نجدها في مادة طود، وثقات الموجودة في مادة وثق.. الخ.

ولكن هذه الدراسة لاقت معارضة شديدة من قبل بعض اللغويين، لأن نظامها يفصم عرى المادة اللغوية الواحدة، اذ عليه نجد كلمة «كتاب» مثلا في فصل الكاف، ومكتوب في فصل الميم، واستكتب في فصل الهمزة.. الخ.

نموذج من معجم المرجع للشيخ عبدالله العلايلي.[٢٥]

آب: «فع» في أوَب.

آب: (* من البابلية: الغلّة) الشهر الثامن من السنة الشمسيّة. «الخ August» و «فر Aout».

آب: ال: (* من السريانية) الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي.

«فر Le Pere Celeste» و «انج The Heavenly Father».

---

٢٥ ـ من رموز المعجم:

صف: صفة.

سم: اسم.

ج: جمع.

(▲): اللفظة تشبه اللفظة ولكن ليست منها.

*: دخيل قديم.

فا: فاعل.

(○): مولد حديث.

(●): مولد قديم.

انج: الانجليزية.

فر: الفرنسية.

آبت: «صف» المرتفع الحرارة، واكثر ما ينعت به الجو، قالوا: يوم آبت: إذا اشتدت حرارته حتى الاحتدام وسكن الريح فيه حتى الضيق، «انج Burning day» و «فر Brulant Jour».

آبد: «صف» المقيم القابع في المكان لا يبرح؛ وأقدر ان معناه الأصل الساكن لا يتحرك، ومن هنا اشتقوا الأبد بمعنى الدهر والدوام بملحظ انه الزمن المديد الساكن فلا يتجزأ بحركتي الليل والنهار وكرّ الآناء. ومن التراكيب لا افعله ابدَ الآبدين، اي دوماً.

▲ ـ المتوحش، ج: أَبَّد «انج Wild Savage Untamed» و «فر Sauvage»؛ وينظر في اصله الى ثنائي «بدّ»، وملحظه انه بدرٌ اي خارج على سنّـة التجمع في اسلوب عيشه ومنفرط العقد والشمل في نظام حياته.

الوحدة السابعة

معجمات الألفاظ (الصحاح والمعجمات التي نهجت نهجه، والأساس والمعجمات التي نهجت نهجه).

نتناول في هذه الوحدة معجمين من معاجم الألفاظ :

أولهما: الصِّحاح، وهو يمثل المرحلة أو المدرسة الثالثة، أو ما يسمى نظام القافية، وهو يقوم على ترتيب المواد حسب النظام الألفبائي مع اعتبار أواخر الأصول.

ثانيهما: أساس البلاغة، وهو يمثل المرحلة أو المدرسة الرابعة، أو ما يسمى نظام الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول. وهو يقوم على تنظيم مفردات المعجم وفق النظام الألفبائي مع مراعاة أوائل الأصول.

تاج اللغة وصحاح العربية[١]

مؤلفه أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفى ٤٠٠ هـ تقريباً. تتلمذ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. وقد مدح القدماء معجمه فقال الثعالبي : «هو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولاً من مجمل اللغة»[٢].

هدف المعجمات بصفة عامة تيسير البحث عن معاني الألفاظ الصعبة، غير أن المحاولات الأولى لم تحقق الغرض المنشود. وظلّت الحال كذلك إلى أن توّج أبو نصر الجوهري كل المحاولات السابقة بكتابه «تاج اللغة وصحاح العربية». والصِّحاح بالكسر، وهو المشهور، جمع صحيح كظريف وظراف.

ويدلنا عنوان المعجم على أن صاحبه قصد إلى أرقى الألفاظ والصحيح منها بصفة خاصة. يقول في مقدمته الوجيزة: «أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرّف الله تعالى منزلتها»[٣].

ولتحقيق ذلك اعتمد الجوهري على الرواية عن العلماء، واعتمد أيضاً على

---

١ - طبع الصحاح في بولاق سنة ١٨٦٥ في مجلدين ثم طبعه احمد عبد الغفور عطار في ستة مجلدات سنة ١٩٥٧، وهناك تهذيب الصحاح للزنجاني ومختار الصحاح للرازي. انظر الدقاق، مصادر التراث العربي ١٩٧ - ٢٠٢، سامي مكي العاني، المكتبة ٧٦ - ٨٢، عز الدين اسماعيل المصادر الأدبية واللغوية ٣٦١ - ٣٦٦، احمد عبد الغفور عطار، الصحاح ومدارس المعجمات العربية ١٤٨ - ١٦٢، محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة ٣٠٧ - ٣٠٩، محمد ماهر حمادة المصادر العربية والمعرّبة ١٨٤ - ١٨٥، وجدي رزق غالي، المعجمات العربية ٢٧، حسين نصار، المعجم العربي ٢/٤٨٤ - ٥٢٩

٢ - يتيمة الدهر ٣/٢٨٩، السيوطي، المزهر ١/٩٨ - ٩٩.

٣ - الصحاح ١/٣٣، المزهر ١/٩٧.

مشافهة العرب في البادية وخاصة في الحجاز وبلاد ربيعة ومضر[٤]. وضبط الكلمات بالشكل حتى لا يتسرّب إليها التصحيف كأن يقول: «حسَبته أحسُبه بالضم إذا عددته، وحسِبته صالحاً أحسَبه بالفتح أي ظننته، ويقال أحسِبه بالكسر وهو شاذ»[٥].

ترك الجوهري نظام ترتيب الحروف على المخارج، ونظام ترتيبها على الألف باء. وأهمل أيضاً الأبنية والتقاليب، وابتدع نظاماً جديداً راعى فيه ترتيب الألفاظ حسب أواخرها[٦].

فالمعجم عنده ينقسم إلى ثمانية وعشرين باباً، كل واحد منها يتناول الألفاظ المتحدة الحرف الأخير؛ فباب لما آخره همزة، وباب لما آخره باء، وباب لما آخره تاء، وهكذا تتوالى الأبواب إلى آخر الحروف.

ثم قسم كل باب من هذه الأبواب إلى فصول معتمداً على الحرف الأول من الكلمة ومرتباً لها على الألف باء أيضاً. فباب الهمزة مثلاً يحوي فصل الهمزة، ففصل الباء . . . إلى آخر الحروف والفصول، وهذه الفصول تحوي جميع الألفاظ الثنائية والثلاثية و الرباعيّة.

وكان يعتمد على الحروف الأصلية في بنية الكلمة ويترك الزائد. وإذا كان اللفظ رباعياً أو خماسياً لم يكتف بترتيب آخره وأوله، بل رتب ثانيه وثالثه ورابعه. وبذلك تجنب الجوهري الفوضى والاضطراب اللذين وقع فيهما سابقوه بصدد الألفاظ التي يمكن أن توضع في أكثر من بناء.

وقد طبق الجوهري خطته تطبيقاً دقيقاً. فالمعجم يبتدىء بباب الهمزة، ويستهل هذا الباب بفصل الهمزة. ويفتتح الفصل الأول بمادة أجأ وهو أحد جبال طيّء، ثم أَوَأ، وليس في الفصل غيرهما. فالباب للحرف الأخير والفصل للحرف

---

٤ ـ القفطي، انباه الرواة ١/١٩٤.

٥ ـ الصحاح، مادة حسب.

٦ ـ نظم بعضهم طريقة الكشف في الصحاح فقال:

اذا رمت كشفا في الصحاح للفظة ... فآخرها للباب والبدء للفصل

ولا تعتمد في بدئها واخيرها ... مزيداً ولكن اعتمادك للأصل

الأول، ثم ترتب المواد وفقاً لحروف وسطها، فالجيم قبل الواو، ولذلك قدّم أجأ على أوَأ. ثم يبدأ فصل الباء من باب الهمزة، ويستهله بمادة (بأبأ) وهي رباعيّة.

ولم يخرج الجوهري عن هذا الترتيب إلا في الباب الذي جمع فيه الألفاظ المنتهية بالواو والياء، فقد جمعها في باب واحد ولم يفرّق بينهما. وختم معجمه بالألفاظ المنتهية بالألف اللينة التي لم تنقلب عن واو أو ياء.

كيفية استخدامه: إذا أردنا مثلاً أن نبحث عن معنى كلمة استكتب: جرّدناها من الحروف الزائدة وهي همزة الوصل والسين والتاء، فيكون أصلها كتب، فنبحث عنها في باب الباء فصل الكاف..

نموذج من الصحاح:

مادة عقّ (باب القاف فصل العين)[٧]

العقيقة: صوف الجذع. وشعر كل مولود من الناس والبهائم الذي يولد عليه: عقيقة وعقيق وعِقّة أيضاً بالكسر. قال ابن الرقاع يصف حماراً:

تحسّرت عِقّةٌ عنه فأنسلها ... واجتاب أخرى جديداً بعد ما ابتقلا

ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه: عقيقة. وقال أبو عبيد: العِقّة في الناس والحمر ولم نسمعه في غيرهما.

وعقيقة البرق: ما انعقّ منه، أي تضرّب في السحاب وبه شبّه السيف. قال عنترة:

وسيفي كالعقيقة فهو كِمْعي ... سلاحي لا أفل ولا فطارا

وكل انشقاق فهو انعقاق. وكل شق وخرق في الرمل وغيره فهو عق. ويقال: انعقت السحابة: إذا تبعجت بالماء.

والعقيق: ضرب من الفصوص. والعقيق: واد بظاهر المدينة. وكل مسيل شقّه ماء السيل فوسّعه فهو عقيق والجمع أعقة.

وعقّ بالسهم: إذا رمى به نحو السماء، ويُنشد للهذلي:

عقّوا بسهم ثم قالوا صالحوا ... ياليتني في القوم إذ مسحوا اللحى

٧ - الصحاح، مادة عقّ ٢/١٠٦.

وذلك السهم يسمى عقيقة، وهو سهم الاعتذار. وكانوا يفعلونه في الجاهلية فإن رجع السهم ملطخاً بالدم لم يرضوا إلا بالقود. وإن رجع نقيّاً مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية. وكان مسح اللحى علامة للصلح. قال ابن الأعرابي: لم يرجع ذلك السهم إلا نقيّا. ويروي: عقّوا بسهم، بفتح القاف، وهو من باب المعتل، وينشد:

عقـوا بسهم فلم يشعـر بـه أحـد ثم استفـاءوا وقـالـوا حبـذا الـوضـح

وعق عن ولده يعق: إذا ذبح عنه يوم أسبوعه، وكذلك إذا حلق عقيقته. وعق والده يعق عقوقا ومعقة فهو عاق وعق، مثل عامر وعمر، والجمع عَقَقة مثل كفرة. وفي الحديث (ذق عقق) أي ذق جزاء فعلك يا عاق، قاله بعضهم لحمزة رضي الله عنه وهو مقتول.

أعق فلان: إذا جاء بالعقوق. وأعقت الفرس: أي حملت فهي عقوق، ولا يقال معق إلا في لغة رديئة، وهو من النوادر، والجمع عقق مثل رسول رسل.

ونوى العقوق: نوى رخو تعلفه الإبل العقق، وربما سموا تلك النواة عقيقة.

والعِقَاق: الحوامل من كل حافر، وهو جمع عقق مثل قلص وقلاص وسلب وسلاب. والعَقاق بالفتح: الحمل، يقال أظهرت الأتان عقاقا وكذلك العقق...

وأهم ما يتصف به الصحاح:

١ - النظام الدقيق الذي لم نعهده عند سابقيه.
٢ - الاختصار في الشرح والتفسير، وتركه الفضول الذي لا غناء فيه.
٣ - جمال أسلوبه في الشرح.
٤ - عنايته باللهجات والألفاظ المعرّبة والمولّدة.
٥ - عنايته بمسائل النحو والصرف.
٦ - تجاوزه ذكر أسماء من ينقل عنهم غالباً رغبة في الإيجاز.
٧ - إشارته إلى الضعيف والمنكر والمتروك والرديء المذموم من اللغات، وإلى العامي والمولد والمعرب، وإلى الأضداد.
٨ - إشارته إلى الألفاظ التي لم تأت في الشعر الجاهلي وذكرها الإسلام.

وقد كان أثر الصحاح فيما بعده من المعاجم كبيراً. فقد غدا نظامه هو السائد،

وبفضله حصل الانعطاف في المعاجم إلى اليسر والسهولة. ولم يُخدم معجم عربي إطلاقاً مثلما خدم صحاح الجوهري، وكثيرون هم الذين درسوه وألفوا حوله، أو أكملوه واستدركوا عليه، أو اختصروه أو ترجموه، وقد بلغوا أكثر من المائة عددا[8].

وقد سار على طريقة الصحاح معاجم كثيرة، أشهرها:

١ - العباب للصغاني المتوفى ٦٥٠ هـ.[9]

٢ - لسان العرب لابن منظور المتوفى ٧١١ هـ.[10].

٣ - القاموس المحيط للفيروز آبادي المتوفى ٨١٧ هـ.[11]

٤ - تاج العروس للزبيدي المتوفى ١٢٠٥ هـ.[12]

وتشترك معجمات المدرسة كلها في أساس التقسيم الذي لم يتغير ولم يتطّور منذ ظهور أول معجم من هذه المدرسة. واعتمد هذا الأساس على تقسيم المعجم كله إلى أبواب وفقاً للحرف الأخير من الكلمات، وتقسيم كل باب إلى فصول وفقاً للحرف الأول، وترتيب المواد في هذه الفصول وفقاً لحروفها الوسطى. ولعل معجمات هذه المدرسة ترفد الشعراء بقواف متعددة في الشعر العمودي.

وتشترك جميعاً في إفراد باب واحد للكلمات التي آخرها الواو والياء، ثم تقديم الواو على الهاء في الفصول حتى يمكن فصل اللفيف الذي وسطه الواو عن اللفيف اليائي الوسط.

ويؤخذ على هذه المدرسة أمور، منها ما يرتبط بالمنهج الذي سارت عليه في التقسيم وترتيب المواد. فالنظر الى آخر الكلمة ثم أولها ثم وسطها فيه تشتيت للذهن وإتعاب للفكر.

ويسهل هذا الترتيب في الثلاثي، ولكنه يعسر قليلاً في الرباعي والخماسي

---

٨ - احمد عبد الغفور عطار، الصحاح ومدارس المعجمات العربية، ١٥٤ - ١٥٧.

٩ - حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٥٣٠ - ٥٤٣.

١٠ - حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٥٤٤ - ٥٧٤. إميل يعقوب، المعاجم اللغوية ١١٣ - ١١٨ عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية ٣٧١ - ٣٨١.

١١ - حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٥٧٥ - ٦٣٨، المعاجم اللغوية ١١٩ - ١٢٤، المصادر الأدبية واللغوية ٣٨٤ - ٣٩٣.

١٢ - حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٦٣٩ - ٦٧٩.

حتى اختلف فيها أصحاب هذه المدرسة. فقد ذهب الجوهري إلى تقديم الثلاثي على الرباعي، فوضع فربج وفرنج بعد فرج، وجلخد بعد جلد، وصرخد بعد صرد، وهدبد بعد هدد، وقربس بعد قرس، لأنه نظر إلى آخرها فأولها فثانيها، فانتهت حروف الألفاظ الثلاثية عند ذلك فأثبتها، وبقي حرف من الرباعيات فأخرها. وقد حاول الفيروز آبادي أن يتلافى ذلك ورتبها بحسب حروفها كلها فقدّم هذا النوع من الرباعي على الثلاثي.

تطبيق وتدريب على معاجم مدرسة الصّحاح :

١ - إذا تماثل الحرف الأخير (وهو الباب) للكلمات، رتبناها حسب الحرف الأول (الفصل).

فالألفاظ التالية :

ندم، علم، سلم، وهم، قدم، ردم، ثلم

نجدها مرتبة في باب اللام على النحو التالي :

ثلم، ردم، سلم، علم، قدم، ندم، وهم.

٢ - إذا اتحد الحرف الأخير (الباب) والحرف الأول (الفصل) في مجموعة من الألفاظ، رتبناها حسب الحرف الثاني، فالألفاظ التالية :

عنف، عكف، عفف، علف، عقف، عسف، عرف.

نجدها في باب الفاء فصل العين مرتبة كما يلي :

عرف، عسف، عفف، عقف، عكف، علف، عنف.

٣ - اقرأ سورة القارعة :

«بسم الله الرحمن الرحيم. القارعة، ما القارعة. وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعِهْن المنفوش. فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفّت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه، نار حامية».

واستخرج معاني المفردات التالية من معجم الصحاح، أو اللسان، أو تاج العروس، أو القاموس المحيط :

القارعة : نجردها إلى قرع ، فنجدها في باب العين فصل القاف
المبثوث : نجردها إلى بث، فنجدها في باب الثاء فصل الباء
العهن : نجردها إلى عهن ، فنجدها في باب النون فصل العين
المنفوش : نجردها إلى نفش ، فنجدها في باب الشين فصل النون
موازينه : نجردها إلى وزن ، فنجدها في باب النون فصل الواو
عيشة : نجردها إلى عيش ، فنجدها في باب الشين فصل العين
راضية : نجردها إلى رضي ، فنجدها في باب الواو والياء فصل الراء
هاوية : نجردها إلى هوى ، فنجدها في باب الواو والياء فصل الهاء
حامية : نجردها إلى حمي ، فنجدها في باب الواو والياء فصل الحاء

أســـاس البلاغــة (١٣) :

صاحب هذا المعجم هو محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٣٨ هـ. وهو عالم من علماء الدين، ورأس من رؤوس المعتزلة. وتفسيره الكشاف مشهور؛ فقد أقامه على تعاليم المعتزلة، وحمل تفسير الآيات عليها. وهو أيضاً أديب نحوي، فله كتاب في النحو اسمه المفصّل، وقد شرحه ابن يعيش في عشرة أجزاء مطوّلة.

رتب الزمخشري معجمه على حروف أوائل الألفاظ، وجعل لكل حرف باباً مستقلاً أدرج تحته جميع الألفاظ المبدوءة به، فكان عدد الأبواب ثمانية وعشرين باباً. ورتّب الألفاظ حسب الحرف الثاني من حروف الكلمة الأصلية. ففي باب الدال مثلاً بدأ بالدال مع الهمزة، فالدال مع الباء، فالدال مع التاء، وهكذا. وعندما يتساوى الثاني أيضاً يلاحظ الحرف الثالث في الترتيب، فيقدم (كتب) على (كتم) مثلاً لأن ترتيب الباء قبل اللام.

وهذا المنهج واضح وسهل، لا تعقيد فيه، ولا يحتاج إلى جهد في الاستعمال. وقد أشار إلى هذا المنهج في مقدمته فقال: «وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً، وأسهله متناولاً، يهجم فيه الطالب على طَلِبَته موضوعةً على طرف الثُّمام

---

١٣ ـ سامي مكي العاني، المكتبة ٩٥ ـ ٩٩، عمر ال٥قاق، مصادر التراث العربي ٢٠٩ ـ ٢١٤، محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة ٣١١ ـ ٣١٢، وجدي غالي، المعجمات العربية ٢٨، حسين نصار، المعجم العربي ٢/ ٦٩٠ ـ ٧١٠.

وحبل الذراع من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلى الإيجاف والإيضاح، وإلى النظر فيما لا يوصَل إلا بإعمال الفكر إليه، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه»[١٤].

وفي المعجم ميزة خاصة تميّزه عن معاجم مدرسته وهي عنايته الكبيرة بالمعاني المجازية للألفاظ. أما المعاني الحقيقية فتأتي في المرتبة الثانية. ومن اسم المعجم يستطيع الدارس أن يعرف غايته وهدفه، فهو لا يقصد إلى أن يستقصي ولا إلى أن يجمع، بل يقصد إلى المعاني المجازية والأساليب البلاغية.

وأهم ما يتصف به هذا المعجم:

١ - أنه أول معجم سار على طريقة الترتيب الهجائي لأوائل فثواني فثوالث الكلمات.

٢ - أن صاحبه يذكر أفصح اللغات.

٣ - أنه يميز بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

٤ - أنه يورد معاني الألفاظ من خلال استعمالها في التراكيب.

٥ - قدّم باب الواو على الهاء.

٦ - لا يعنى بالأبنية، بل يمزجها مزجاً جيلاً وسهلاً من خلال حديثه عن المادة.

٧ - احتواؤه على كثير من عيون كلام الأدباء.

٨ - لم يستوعب ولم يستقص جميع ألفاظ اللغة، بل اكتفى بذكر الألفاظ التي يدور استعمالها بين الحقيقة والمجاز.

نموذج من المعجم:

وقوفاً بالقارىء على طبيعة المعجم نضع بين يديه مادة منه ترينا طريقة المؤلف.

مادة أبط (باب الهمزة): [١٥].

أبط: رفع السوط حتى برقت إبطه. وتأبط السيف: جعله تحت إبطه. والسيف عِطافي وإباطي أي ما أجعله على عِطفي وتحت إبطي، قال المتنخّل:

شربتُ بجمّه وصدرتُ عنه ... وأبيضُ صارمٌ ذَكَرٌ إباطي

---

١٤ - أساس البلاغة ص ٨.

١٥ - أساس البلاغة، ص ١٠.

ومن المجاز : نزل بإبط الرمل وهو مَسْقِطه، وبإبط الجبل وهو سفحه، وضرب آباط المفازه. وتقول: ضرب آباط الأمور ومغابنها واستشفّ ضمائرها وبواطنها.

وقد عني الباحثون بالأساس كثيراً، فلخصّه ابن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢ هـ) واقتصر فيه على المجاز، وسمى كتابه غراس الأساس. كما اختصره وأعاد ترتيب مواده محمد المناوي (المتوفى ١٠٣١ هـ) في كتاب أسماه إحكام الأساس.

طبع أساس البلاغة مرات كثيرة أفضلها طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ في جزأين، ثم طبع مراراً في مجلد واحد، وصوّر أخيراً في بيروت.

وقد لاقى منهج أساس البلاغة الذي يعتمد الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول إقبالاً في المعاجم الحديثة التي اقتفت خطاه، ومن أشهرها :

١ ـ محيط المحيط : بطرس البستاني المتوفى ١٨٨٣م.
٢ ـ أقرب الموارد : سعيد الشرتوني المتوفى ١٩١٢.
٣ ـ البستان : عبدالله البستاني المتوفى ١٩٣٠.
٤ ـ فاكهة البستان : عبدالله البستاني المتوفى ١٩٣٠.
٥ ـ المنجد : لويس المعلوف المتوفى ١٩٤٦.
٦ ـ متن اللغة : أحمد رضا المتوفى ١٩٥٣.
٧ ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية في القاهرة.

وتتصف المعاجم الحديثة بالانتظام والاختصار. أما الانتظام فواضح في ترتيبها جميعها من أول الكلمة إلى آخرها بحسب حروفها الأصول وحدها وتقديم الأفعال في المادة على غيرها، وتقديم المجرّد من الأفعال على المزيد، والميل إلى ترتيب المزيد نفسه بحسب صيغه المختلفة، والنصّ في كل فعل على بابه ليعرف ماضيه ومضارعه إما بالتصريح أو بالرمز، والتصريح بمصدره أو مصادره. وأما الاختصار فجليّ في حذف غير اللغويات من المعجم مثل الأعلام والأماكن وتقليل الشواهد، وتقليل التفاسير الكثيرة التي تساق للفظ الواحد دون أن يختلف مدلولها، واستخدام الرموز في الإشارة إلى أبواب الأفعال وإلى المعرَّب[١٦].

---

١٦ ـ حسين نصّار، المعجم العربي ٢/٧٢٩.

وهذه المدرسة تضم أنواعاً مختلفة من المعجمات يمكن أن يُجعل كلٌّ منها مدرسة خاصة، ولكن هذه الأنواع جميعها تسير في تقسيمها وترتيبها على حروف ألف باء باعتبار الحرف الأول فالثاني فالثالث . . . الخ من الأصول، ولذلك وضعها الباحثون في مدرسة واحدة.

تطبيق وتدريب على معاجم مدرسة أساس البلاغة :

١ - ترتب المواد في المعجم حسب الحرف الأول، فالكلمات التالية:

كبر، صدم، دفع، حرص، شبع، بتر، غلظ

نجدها مرتبة كما يلي :

بتر، حرص، دفع، شبع، صدم، غلظ، كبر

٢ - الكلمات في الباب الواحد ترتب حسب تسلسل ثوانيها. فالكلمات التالية:

طهو، طمع، طين، طرد، طبق، طلع، طعن

نجدها مرتبة على النحو التالي:

طبق، طرد، طعن، طلع، طمع، طهو، طين

٣ - إذا اتحدت الأوائل والثواني ننظر إلى الحرف الثالث، فالكلمات التالية:

سجو، سجم، سجع، سجد، سجل، سجن، سجح

نجدها مرتبة على النحو التالي:

سجح، سجد، سجع، سجل، سجم، سجن، سجو

٤ - اقرأ سورة الهُمزة :

«بسم الله الرحمن الرحيم. ويل لكل هُمَزة لُمَزة، الذي جمع مالاً وعدّده. يحسب أن ماله أخلده. كلاّ لَيُنْبَذنّ في الحُطَمة، وما أدراك ما الحُطَمة، نار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة. إنها عليهم مُؤْصدة، في عَمَدٍ مُمَدَّدة.

واستخرج معاني المفردات التالية من أساس البلاغة أو المعجم الوسيط :

هُمَزة : نجردها إلى الجذر همز، فنجدها في باب الهاء

لُمَزة : نجردها إلى الجذر لمز، فنجدها في باب اللام

عدّده : نجردها الى الجذر عدد، فنجدها في باب العين
أخلده : نجردها إلى الجذر خلد، فنجدها في باب الخاء
لَيُنبذنّ : نجردها إلى الجذر نبذ، فنجدها في باب النون
الحطمة : نجردها إلى الجذر حطم، فنجدها في باب الحاء
الموقدة : نجردها إلى الجذر وقد، فنجدها في باب الواو
تطّلع : نجردها إلى الجذر طلع، فنجدها في باب الطاء
الأفئدة : نجردها إلى الجذر فأد، فنجدها في باب الفاء
مؤصدة : نجردها إلى الجذر أصد، فنجدها في باب الهمزة
عمد : نجردها إلى الجذر عمد، فنجدها في باب العين
ممدّدة : نجردها إلى الجذر مدد، فنجدها في باب الميم

الوحدة الثامنة

معجمات المعاني (فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده)

ندرس في هذه الوحدة اثنين من معاجم المعاني المشهورة هما: فقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده من اجل التعرّف الى نهج هذا النوع من المعاجم.

فقه اللغة وسرّ العربية للثعالبي[1]

مؤلف هذا الكتاب الأديب الشاعر ابو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفى ٤٢٩ هـ مصنّف «يتيمة الدهر» في تراجم شعراء القرن الرابع الهجري.

استعان الثعالبي في جمع مادة معجمه بأقوال عدد كبير من علماء اللغة وائمتها المعروفين، ذكر منهم في مقدمته: الخليل بن احمد، والأصمعي، وابا عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وأبا زيد الأنصاري، وابا عبيدة، وابن الأعرابي، وغيرهم.[2]

ويمتاز «فقه اللغة» بسداد منهجه وحسن تبويبه. فقد جعل كتابه في ثلاثين بابا كبيرا يحمل كل منها عنوانا رئيسيا يتضمن موضوعا عاما. وكل باب ينقسم الى زمرة من الفصول تتفاوت عددا؛ فقد تقتصر على بضعة فصول، وقد تزيد على الستين. وهذه الفصول هي المعاني التي تتفرع من كل موضوع رئيسي. ويتميز المعجم بالاختصار؛ فهو يورد المعنى ومدلوله باختصار شديد، ويندر ان يستشهد في اثناء الشرح.

فالباب الأول في الكتاب طابعه عام، فقد جعله مؤلفه في الكليات. ومن فصوله ما كان في ضروب الحيوان، وفي النبات والشجر، وفي الأمكنة، وفي الثياب.. الخ. وهو يستهله بقوله: «كل ما علاك فأظلك فهو سماء. كل ارض مستوية فهي صعيد. كل بناء مربع فهو كعبة. كل بناء عال فهو صرح. كل شيء دبّ على وجه الأرض فهو دابة. كل شيء من متاع الدنيا فهو عرض..».

وفي فصل تال يقول: «كل دابة في جوفها روح فهي نسمة. كل كريمة من النساء والابل والخيل وغيرها فهي عقيلة. كل ما له ناب ويعدو على الناس والدواب

---

١ - عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ١٥٧ - ١٦٠، محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة ١٠٤ - ١٠٦، محمد ماهر حمادة، المصادر العربية ١٨٨، المعجمات العربية ٥٢ - ٥٣.

٢ - الثعالبي - فقه اللغة - ١٦ - ٢٢.

فيفترسها فهو سبع. كل طائر له طوق فهو حمام..».

وفي باب الأطعمة والأشربة يتناول فصولا متعددة منها في تفصيل اسماء الخمر وصفاتها كأن يقول: «الخمر اسم جامع واكثر ما سواه صفات: الشَّمول: التي تشمل بريحها القوم. الرحيق صفوة الخمر التي ليس فيها غش. الحميّا الشديدة منها. العقار التي عاقرت الدن زمانا اي لازمته. الراح التي يرتاح شاربها لها..». ثم يمضي الثعالبي في تتبع اسماء الخمرة شارحاً اياها، فيذكر المدامة والقهوة والسّلافة والكميت والصهباء.

وفي فصل آخر يتحدث عن خروج الماء وسيلانه، يقول: «من السحاب سحّ، من الينبوع نبع، من الحجر انبجس، من النهر فاض، من الاناء رشح، من العين انسكب..».

والطابع المميز لمادة الكتاب اللغوية يقوم على توخي الدقة في المدلول والتخصيص في المعنى، مما يكشف بوضوح عن غنى اللغة العربية بالألفاظ، واتساعها وشمولها لأدق الفروق في المسميات، وهذا ما دعا الثعالبي الى ان يردف عنوان كتابه «فقه اللغة» بعنوان ملحق ذي مغزى في خصائص هذه اللغة وهو «سر العربية». [٣]

أما كيفية استخدام فقه اللغة ومعاجم المعاني عامة فبالرجوع الى فهرس المعجم للوقوف على المعنى المطلوب، ثم البحث عنه في المعجم.

نموذج من الكتاب:

فصل في تقسيم المشي[٤]

الرجل يسعى، البعير يسير، المرأة تمشي، الظليم يهدج، الصبي يدرج، الغراب يحجل، الشاب يخطر، العصفور ينقر، الشيخ يدلف، الحية تنساب، الفرس يجري، العقرب تدب.

---

٣ ـ عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ١٦٠

٤ ـ فقه اللغة، الفصل العاشر من الباب التاسع عشر.

نموذج آخر :
في تفصيل الطيران واشكاله وهيئاته(٥)

«واذا حرّك الطائر جناحيه ورجلاه في الأرض، قيل : دفّ، فإذا طار قريباً على وجه الأرض قيل : أسفّ، فإذا كان مقصوصاً وطار كأنه يردّ جناحيه الى خلفه قيل : جدف. فإذا حرّك جناحيه في طيرانه قريباً من الأرض وحام حول الشيء يريد ان يقع عليه قيل : رفرف، فإذا بسط جناحيه في الهواء، وسكنهما فلم يحركهما كما تفعل الحدأ والرَّخم قيل : صفّ، فإذا ترامى بنفسه في الطيران قيل : زفّ زفيفاً، فإذا انحدر من بلاد البرد الى بلاد الحرّ قيل : قطع قطوعاً وقطاعاً، يقال : كان ذلك عند قطاع الطير».

طبع فقه اللغة مراراً، واحسن طبعاته طبعة القاهرة بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ١٩٥٤ . ومنها طبعة مصرية اخرى صدرت عن مطبعة الاستقامة سنة ١٩٥٩، ومنها ايضا طبعة دمشق بتحقيق سليمان البواب سنة ١٩٨٤ .

المخصص(٦)

مؤلّفه ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلسي المتوفى ٤٥٨ هـ. والمخصَّص اوسع معاجم المعاني واغزرها مادة وأجدرها بان يحمل اسم معجم للمعاني لما اتسم به من تقصٍّ لألفاظ العربية واستيعاب لمعظمها، ولما امتاز به من اطلاع واسع على كلّ ما الّف في هذا الموضوع، ولحسن تبويبه واحكام منهجه.

وقد عدّد المؤلف في مقدمة معجمه مصادره، وهي جميع الرسائل والكتب ومعاجم المعاني التي وضعت قبله، وفي طليعتها الغريب المصنّف لأبي عبيد الذي كان يحفظه عن ظهر قلب. وقد قال احد العلماء : «دخلت مرسية، فتشبّث بي اهلها ليسمعوا عليّ «الغريب المصنّف» فقلت لهم : انظروا من يقرأ لكم وامسك انا كتابي،

---

٥ - فقه اللغة، الفصل الخامس والعشرون من الباب التاسع عشر.

٦ - سامي مكي العاني، المكتبة ١٠٦ - ١٠٨، عمر الدقاق، مصادر التراث العربي ١٦١ - ١٦٤. محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة ٣١٣ - ٣١٤، محمد ماهر حمادة، المصادر العربية ١٨٨، المعجمات العربية ٥١ - ٥٢.

فأتوني برجل اعمى يعرف بابن سيده، فقرأ علي من اوله الى آخره، فعجبت من حفظه». (٧)

ويقوم منهج المخصص على الموضوعات. وهو في تبويبه اقرب ما يكون الى كتاب «فقه اللغة» للثعالبي. فقد جعله ابن سيده في سبعة عشر كتاباً كبيراً سمّى كلاً منها كتاباً. ويتفرّع كل كتاب الى عدد من التقسيمات الفرعية. وكل كتاب يحمل عنواناً لموضوع واسع ذي طابع عام، من مثل: خلق الانسان، الغرائز، النساء، اللباس، الطعام، الأمراض، المنازل، السلاح، الخيل، الابل، الغنم، الوحوش، الحشرات، الطير، الأنواء والسماء والفلك، الدهور والأزمنة، الأهوية والرياح والماء، النخيل والنبات، المعادن.

ويمتاز المخصص في هذا التبويب على كتب سابقيه مثل الثعالبي في ان اجزاءه وعناوين ابوابه تتوالى على نسق يراعي الترابط والتدرج في الموضوعات. فهو يبدأ بالانسان ثم غرائزه وما يتصل بعد ذلك به من لباس وطعام وامراض ومنازل وسلاح. وبعد ذلك ينتقل الى الحيوان وانواعه.

كما انه كان يحرص على ان يتدرج داخل كل باب من ابواب كتابه من العام الى الخاص. وفي ذلك يقول موضحاً منهجه: «فأما فضائل هذا الكتاب من قبل كيفية وضعه، فمنها تقديم الأعم فالأعم، على الأخص فالأخص، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض..»(٨)

وكان ابن سيده يحرص على نسبة كل قول الى صاحبه مراعاة للأمانة العلمية. ولا نقع في زحمة تلك الروايات على شيء من اقوال ابن سيده لأنه في صدد مادة لغوية منقولة رواها الشيوخ قبله عن اصولها ومنابعها في كلام العرب واشعارهم.

نموذج من المخصص

وتتضح طريقة عرض ابن سيده لمادته اللغوية من خلال هذا النص المقتطف من باب الذكاء والفطنة من كتاب الغرائز:

---

٧ - انباه الرواة ٢/٢٢٦

٨ - ابن سيده، المخصص ١/١٠.

«غير واحد: ذكي بيّن الذكاء، الجمع اذكياء، وقد ذكا يذكو وذكَي، وأصله التوقّد واللهبان. ومنه ذُكاء اسم للشمس. صاحب العين: الحفظ ضد النسيان، حفظت الشيء حفظاً، ورجل حافظ من قوم حفاظ، والتحفظ في الكلام والأمور قلّة الغفلة كأنه على حذر من السقوط. أبو عبيد: الشهم الذكي الفؤاد. صاحب العين: قلب وقّاد ومتوقّد ماضٍ. ابو عبيد: الفؤاد الأصمع والرأي الأصمع الذكي. ابن السكيت: رجل حديد الفؤاد وحُداد، حدّ يحدّ حدّة، وهو حديد والجمع حِداد، أبو عبيد: اللوذعي الحديد الفؤاد الفصيح. عليّ: هو من التلذّع وهو التوقّد. ابن السكيت: اليلمعي والألمعي الحديد القلب واللسان. صاحب العين: الفطنة والذكاء والجمع فِطَن. ابن دريد: هي الفَطانة والفُطونة..»(٩)

وهذا نصٌّ آخر من باب الحمل والولادة من كتاب خلق الانسان:

«أبو عبيد: نُسئت المرأة فهي نَسْء: بدأ حَمْلها. الأصمعي: نُسِئَتْ نَسْأً. قال أبو عليّ الفارسي «واذا ذكرنا أبا علي فإياه نعني» وبهذا المصدر وُصفت بدلالة قولهم نسوة نَسْء لأنهم إذا وصفوا بالمصدر وحّدوه كان الموصوف به واحداً او جمعاً، وذلك انهم قالوا قوم عَدْل فإنما يريدون ذوو عدل، فاختزلوا المضاف وأقاموا المضاف إليه مقامه. فكما انهم لو صرّحوا بالمضاف لم يُثَنّوا المضاف إليه ولا جمعوه كذلك لم يثنوه ولا جمعوه حين حذفوا المضاف اليه لأنه في نيّة الاثبات. قال وحكى ابو زيد: امرأة نَسْء من نسوة. وقد قال الله سبحانه حملته امه كُرْها، وكأنه إنما جاز حملت به لما كان في معنى علقت به. ونظيره قوله تعالى أحلّ لكم ليلة الصيام الرَّفث الى نسائكم لما كان في معنى الافضاء عُدّي بإلى. وقال صاحب العين: الحمل ما يُحمل في البطون من الأولاد في جميع الحيوان، حملت تحمل حملاً..»(١٠)

---

٩ - ابن سيده/ المخصص المجلد الأول، السفر الثالث ص ٢٤.

١٠ - المصدر نفسه المجلد الأول، السفر الأول، ص ١٧.

قائمة المراجـع

القرآن.

- د. ابراهيم انيس - دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، ط ٤، سنة ١٩٨٠ م.
- د. ابراهيم انيس - من اسرار اللغة، ط ٦، ١٩٧٨، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- د. ابراهيم بيومي، في اللغة والأدب، دار المعارف، سنة ١٩٧١.
- احمد امين - ضحى الاسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط ٣، سنة ١٩٥٦.
- د. احمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، دار الاندلس بيروت ط ١، سنة ١٩٨٣.
- د. احمد عبد الغفور - الصحاح ومدارس المعجمات العربية، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٦٧.
- د. اميل يعقوب - فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٨٢.
- د. اميل يعقوب - المعاجم اللغوية العربية، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، سنة ١٩٨١.
- انيس فريحة: اللهجات واسلوب دراستها، محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية القاهرة، سنة ١٩٥٥م.
- البخاري، صحيح البخاري - دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ابن بري، في التعريب والمعرب «وهو المعروف بـ: حاشية ابن بري على كتاب المعرب للجواليقي - عني باخراجه والتقديم والتعليق عليه د. ابراهيم السامرائي - مؤسسة الرسالة - ط١، سنة ١٩٨٥.
- بنت الشاطيء (عاشة عبد الرحمن)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة.

- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، سنة ١٩٧٣ .
- الثعالبي ـ فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان البّواب، دمشق سنة ١٩٨٤ .
- الجاحظ، رسائل الجاحظ ت عبد السلام هارون. . القاهرة ـ مكتبة الخانجي ـ سنة ١٩٦٤ .
- الجرجاني (الشريف علي بن محمد)، ط ١ ـ دار الكتب العلمية، لبنان سنة ١٩٨٣ .
- ابن جني ـ الخصائص جـ ١ + ٢ + ٣، ت محمد علي النجار ـ دار الهدى، بيروت ـ لبنان .
- ابن جني ـ سر صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السقا وغيره، مطبعة مصطفى البابي القاهرة ١٩٥٤ .
- جورجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الهلال القاهرة .
- الجوهري ـ الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة سنة ١٩٥٦-١٩٥٧ .
- د. حسين نصار ـ المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط ٢ ـ سنة ١٩٦٨ .
- د. حلمي خليل ـ المولد ـ دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع الاسكندرية ـ ١٩٧٩ .
- د. خليل عمايرة ـ في نحو اللغة وتراكيبها ـ ط ١ ـ عالم المعرفة ـ جدة ـ ١٩٨٤ .
- ابن دريد ـ الاشتقاق ـ ت عبد السلام هارون ـ مطبعة الرسالة، مصر، سنة ١٩٥٨ .
- ابن دريد ـ جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو، حيدر آباد الدكن، ١٣٤٤ هـ.
- د. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٢ ، سنة ١٩٨٠ .
- الزبيدي ـ تاج العروس، وزارة الارشاد والانباء، الكويت ١٩٦٥ .
- الزمخشري ـ اساس البلاغة، طبعة مصورة طبعة دار الكتب، بيروت، سنة ١٩٧٩ .
- د. سامي مكي العاني ـ المكتبة، نشر وزارة التعليم العالي، بغداد سنة ١٩٧٩ .

- ستيفن اولمان، دور الكلمة، ترجمة كمال بشر، ط ٣، مكتبة الشباب، سنة ١٩٧٣م .
- سعيد الافغاني - في اصول النحو، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، سنة ١٩٦٣ .
- د. سلمان العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية - ت د. ياسر الملاح - النادي الثقافي - جدة ١٩٨٣ م .
- ابن سيده - المخصص، طبعة مصورة في بيروت عن طبعة بولاق، بدون تاريخ .
- السيوطي - المزهر في علوم اللغة شرحه وضبطه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد احمد جاد المولى، محمد علي البجاوي، محمد ابو الفصل ابراهيم - دار الفكر .
- الشنفرى، لامية العرب، شرح وتحقيق د. محمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة بيروت، سنة ١٩٦٨ .
- د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط ٩ - سنة ١٩٨١ - دار العلم للملايين بيروت .
- د. عبد العزيز عتيق - تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية ط ٤ سنة ١٩٨٦ .
- د. عبد القادر ابو شريفة وزملاؤه - دراسات في اللغة العربية، دار الفكر، عمان سنة ١٩٨٩ .
- د. عبد الكريم خليفة - اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث - من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ط ١ - ١٩٨٧، عمان - الأردن .
- د. عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء للنشر والتوزيع - عمان، سنة ١٩٨٥ .
- د. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٩ .
- عز الدين اسماعيل - المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار المعارف، القاهرة ط ٢، سنة ١٩٨٠ .
- عمر الاسعد - اللغة العربية بين المنهج والتطبيق، عمان سنة ١٩٨٩ .

- عمر رضا كحالة ـ اللغة العربية وعلومها. مكتبة النسر المطبعة التعاونية سنة ١٩٧١.
- عمر الدقاق ـ مصادر التراث العربي، دار مكتبة الشروق ـ بيروت، بدون تاريخ.
- ابن فارس مقاييس العربية ـ تحقيق وضبط عبد السلام هارون ـ دار الفكر ـ سنة ١٩٧٩.
- فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، دار النهضة العربية، سنة ١٩٧٦ م.
- القفطي، انباه الرواة، تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٠.
- كمال بشر ـ دراسات في علم اللغة العام ـ الأصوات، دار المعارف، ط ٧ سنة ١٩٨٠.
- ابن ماجه، سنن ابن ماجة ـ ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة.
- ماريو ياي، اسس علم اللغة ط ٢، ترجمة د. احمد عمر مختار، عالم الكتب بيروت، سنة ١٩٨٣.
- مجمع اللغة العربية الأردني، الموسم الثقافي، عمان سنة ١٩٨٤.
- محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللغة، ط ٣، دار الشروق.
- حسين آل ياسين ـ الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث ـ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ط ١، سنة ١٩٨٠.
- محمد عجاج الخطيب، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، سنة ١٩٨٠.
- محمد ماهر حمادة، المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٨٠.
- محمد المبارك، فقه اللغة، دار الفكر، ط ٧، سنة ١٩٨١ م.
- محمود حجازي ـ اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة، القاهرة سنة ١٩٧٨ م.
- محمود السعران ـ علم اللغة ـ مقدمة الى القارىء العربي، دار الفكر العربي، القاهرة.
- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، معهد الدراسات العربية، القاهرة سنة ١٩٥٥.

- المفضل الضبي : المفضليات .
- ابن منظور ـ لسان العرب ـ دار صادر .
- هنري فليشر ـ العربية الفصحى ـ تعريب د. عبد الصبور شاهين ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت، سنة ١٩٦٦ .
- وجدي رزق غالي ـ المعجمات العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، سنة ١٩٧١ م .